جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

لغة وأدب عربي
دراسات لغوية
لسانيات عربية

رقم: ع/21

إعداد الطالب:
غيبوب موسى / غربي عبد العزيز

يوم: 18/06/2023

فاعلية السياق في تحديد المعنى في نماذج من النظم القرآني – دراسة بلاغية دلالية –

لجنة المناقشة:

بشار إبراهيم	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
صفية طبني	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا ومقررا
آمال مزهودي	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا

السنة الجامعية : 2022 – 2023

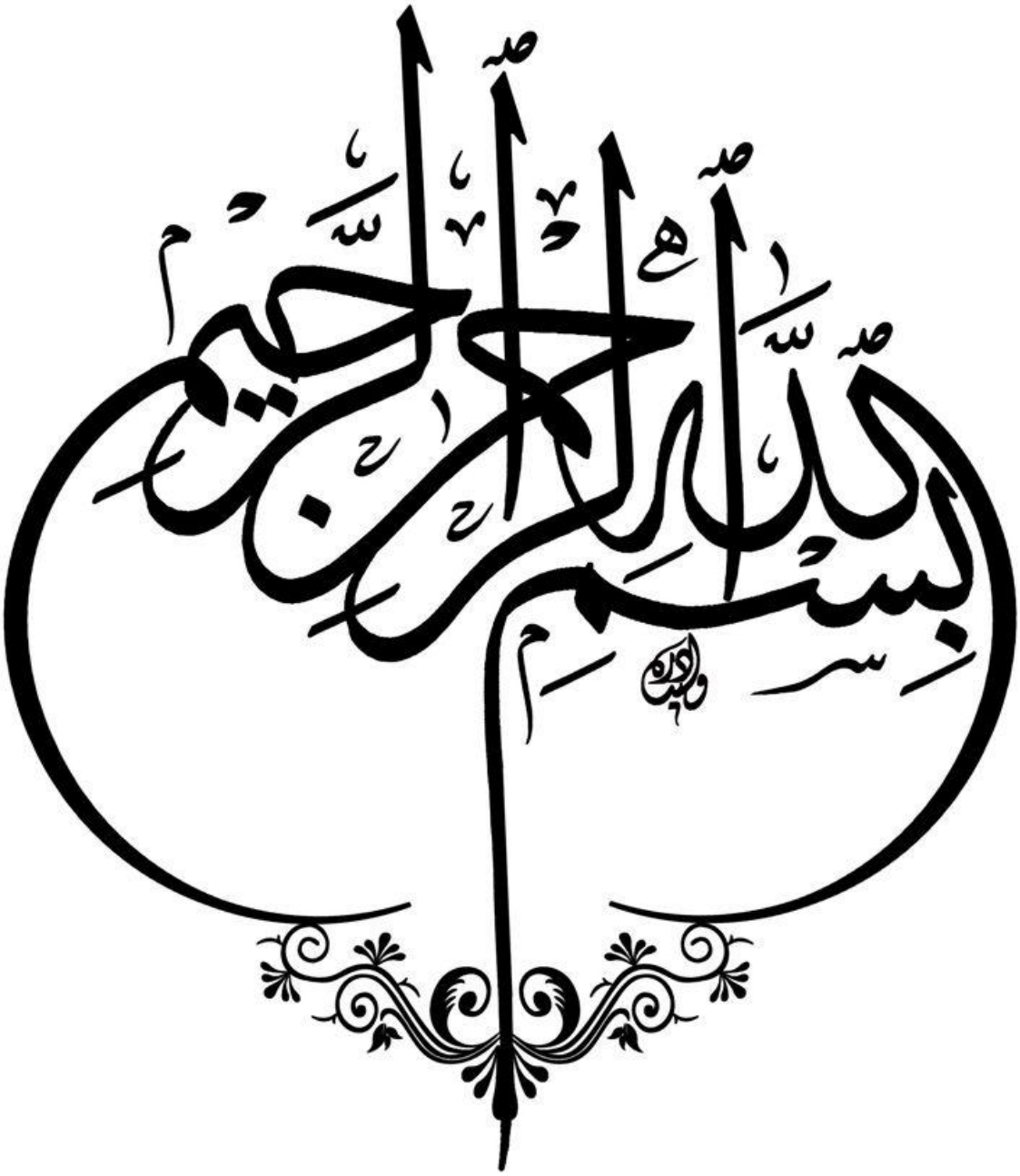
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نحمد الله القدير على اتمام بحثنا

ويطيب لنا بعد هذا العمل المتواضع

أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان **للأستاذة الدكتورة "صفية طبني"** على سعة الصدر ورحابة النفس بقبولها الاشراف على هذه المذكرة والتي منحتنا من وقتها وجهدها ما يكفي لإخراج هذا البحث المتواضع الى حيز الوجود

كما لا يسعنا الى أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذه المذكرة متحملين عبأ قراءتها وابداء ملاحظاتهم القيمة لتضيف كثيرا من الفائدة واستدراك أي خلل فيها.

الإهـــــــداء

أهدي جهدي هذا:

إلى صاحب الهدايات والمعطي دون نفاذ في البدايات والنهايات إلى خالق الشمس والقمر

إلى والدي وأبي وقدوتي الذي جد وعمل من أجل أن أكون رجلا أمام الصعاب

وإلى القمر أمي التي سهرت مع كل نبض في قلبي والتي لا يغمض لها جفن او تستشعر بحلاوة إلا من خلال راحتي وفرحتي

وإهداء مخصوص لأستاذي "سعادة لعلى" رحمه الله الذي زارتني ملامحه وأن أخط في هذه الصفحة متذكرا وصيته: أهذي يا بني حتى تغدو يوما كاتب

وإلى أستاذتي أطال الله في عمرها "دهينة إبتسام" التي لاطالما افتخرت بوجودي وعززت من طموحي نحو السير إلى أعلى رتب

وإلى نفسي التي أنهكتها طيلة هذه السنوات فجعلت من سم المواقف درس ومن عسل الايام ذكرى جميلة

وإلى النجمة التي يكتبها لي القدر زوجتي

وإلى الكواكب خصوصا التي تفاعلت معي خلال مسيرتي ،إخوتي وأخواتي . وإلى كل الطيبين وكل مخلوق لم يأتيه إهداء

مـــــــوسى

الإهـــــــداء

أهدي ثمار هذا البحث

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفيه حقه والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إلى اشراقة الصباح وشمس الأصيل أمي نبض قلبي نبع الحنان أدامها الله

إلى مصدر عزتي وكرامتي إخوتي وأخواتي حفظهم الله

إلى زوجتي وأم أولادي رفيقة دربي أدامها الله

الى أبنائي البررة حفظهم الله ورعاهم

إلى كل من منحني الثقة بالنفس لطلب العلم

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

عبد العزيز

مـــقدمـة

الحمد الله الذي خلق الإنسان والذي صوره في أحسن بيان وصلى الله وسلم على خير خلق الله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، لا يخفى على عاقل راجح أن دراسة القرآن الكريم من أسمى الدراسات وأشرفها وأقربها إلى القلب وإلى مراتب السمو لأنها ترحل بك إلى التدبر والقرب من فهم الحقيقة، ولقد أخترنا أن تكون دراستنا على نماذج من القرآن الكريم فهو كلام بليغ وبحر من الكمال بحيث تستنبط منه القواعد الفقهية والنحوية ولا يختلف اثنان في جمالية القرآن وسياقتها التي تعطيك فهم وتلاحم مع الآيات المعجزة باللفظ والمعنى وخصوصا عند التمكن من فهم السياقات الداخلية والخارجية.

أما عن أسباب اختيار الموضوع ودوافعه منها ما هو ذاتي ومنها ما يخص الموضوع نفسه ويمكن تحديدها انطلاقا من الأمور التالية:

- الأسلوب القرآني منفرد بخصائصه ومتشبع بالبلاغة والحكمة.
- لمعرفة حقيقة الكون وميزان الحياة نحتاج التدبر في آيات الله والشعور بها.
- محاولة إبراز جهود المفسرين في بلاغة النظم القرآني.
- رغبة منا في فهم السياقات الداخلية والخارجية ومحاولة الوصول إلى بلاغة ودلالة كل منهما.

ومن هنا نجد أنفسنا أمام تساؤل يعد إشكالية هذا البحث وهو:

- **ما السر البلاغي والدلالي الذي يتشكل مع فاعلية السياق بنوعيه في تحديد المعنى ؟**

ومن هذا الإشكال تتمحور مجموعة من التساؤلات نفرد أهمها فيما يأتي:

- ما أقسام السياقات الداخلية والخارجية؟
- أين تكمن العلاقة بين عناصر السياق الداخلي؟
- ما القيمة الجمالية والدلالية في سياق الخارجي بكل عناصره؟

وانطلاقا مما سبق ذكره وسيرا في طريق جهود السابقين نحو تسليط الضوء على الجوانب الإعجازية والجمالية في نظم القرآني، تشرفنا باختيار هذا البحث الموسوم ب **فاعلية السياق في تحديد المعنى في نماذج من النظم القرآني – دراسة بلاغية دلالية** – وفرضت علينا معطيات البحث الخطة الآتية:

مقدمة وفصلين وخاتمة، بحيث تناولنا في المقدمة أهمية الموضوع ثم أسباب اختيار الموضوع وتطرقنا بعدها إلى طرح الإشكالية والمنهج المتبع في الدراسة بالإضافة إلى بعض الدراسات السابقة وأهم المصادر والمراجع.

وأمّا الفصل الأول كان تحت عنوان أنماط السياق الداخلي ودوره في تحديد المعنى في القرآن والذي تفرعت منه أنواع أولها السياق النحوي ثانيها السياق الصرفي وثالثها السياق الصوتي ورابعها السياق الإيقاعي وأما الفصل الثاني اندرج تحت عنوان أنماط السياق الخارجي الذي قسم بدوره إلى أنواع كالتالي السياق الاجتماعي والسياق التاريخي وسياق الحال.

لا يختلف اثنان أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد المنهج المناسب ومنه اعتمدنا في دراستنا على "**المنهج الوصفي** " وهو منهج يعد مناسبا لمثل هذه الموضوعات.

وأما من الدراسات السابقة التي اقتربت من موضوعنا فهي كالتالي:

- السياق واثره في المعنى لمهدي إبراهيم الغويل.
- الدلالة السياقية عند اللغوين لعواطف كنوش المصطفى.
- لعلي حميد خضير – دلالة السياق في النص القرآني.

وأمّا عن أهم المصادر والمراجع التي كانت لها صلة وثيقة بموضوعنا وكانت الركيزة الأساسية في بناء بحثنا، نذكر منها:

1. صفوة التفاسير، للصابوني.
2. في ظلال القرآن، لسيد قطب.
3. فاعلية السياق في توجيه الدلالة، عبد القادر بن زيان.
4. فواصل الآيات القرآنية، كمال الدين عبد الغني المرسي.
5. السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، خليل خلف بشير العامري.

أمّا بالنسبة للصعوبات لا يكاد باحث أن يسلم منها وذلك من ناحية ندرة المراجع المتخصصة أو ضيق الوقت وعندما درسنا هذا الموضوع واجهتنا مجموعة من العراقيل نجملها فيما يلي:

- صعوبة البحث والإحاطة بالدراسات القرآنية.
- صعوبة ضبط البحث وهو يحتاج التوسع في كل عنصر من عناصره.

وآخر الأمور الحمد الله الذي بفضله تذللت كل الصعاب وخرج هذا العمل إلى النور.

الفصل الأول

أنماط السياق الداخلي ودوره في تحديده المعنى في القرآن الكريم

تمهيد.

أولا: السياق النحوي.

1. العلامة الإعرابية.
2. التقديم والتأخير.
3. الحذف والتكرار.

ثانيا: السياق الصرفي.

1. اختلاف صيغة الكلمة.
2. الجمع والإفراد.
3. الإبدال.

ثالثا: السياق الصوتي.

1. دلالة الصدى الحالم.
2. دلالة الصوت بين الخفة والثقل.
3. دلالة التكرار الصوتي.

رابعا: السياق الإيقاعي والفاصلة القرآنية

1. النبر والتنغيم.
2. الفاصلة القرآنية.
3. تناسب الفواصل.
4. تكرار الفواصل في بعض الصور.

خلاصة الفصل.

تمهيد:

خلال بحثنا وجدنا أن السياق الداخلي يسمى كذلك بالسياق اللغوي، وهو كل ما يتعلق بالحدث اللغوي، وما يتضمنه من قرائن تساعد على كشف معنى الكلمة وتسهيل الغموض وتوضيح دلالتها ضمن السياق الذي ترد فيه وهذا يتطلب تحليل النص من جميع النواحي الدراسة[1]، نفهم من خلال هذا أن لتتبع دلالة النصوص نحتاج إلى البحث في كل ما يحيط بالسياق من جميع الجوانب.

كما أنه التمسنا مفهوما خاصا يعتبر السياق الداخلي ينطوي تحت جناح علم الأصوات، وذلك كونه؛ "البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة"[2]، في هذا المفهوم نلاحظ أن السياق اللغوي يركز بالدرجة الأولى على الصوت باعتبار أن اللغة أصوات.

وللوصول إلى عمل هذا الأخير وإلى أهميته توضح لنا أن عمله يكمن في تحديد قيمة الكلمة ودلالتها في النظم، كما يعد الجوهر الأساس في ترتيب النصوص اللغوية من حيث الوضوح والخفاء، كما يعتمد على عناصر لغوية قد وردت بالفعل في النص مثلا جملة سبق ذكرها أو لاحق إيرادها[3]. الجدير بالذكر أن السياق الداخلي له عدة أنماط وفي هذا الفصل سنتطرق إلى السياق النحوي والسياق الصرفي والسياق الصوتي والسياق الإيقاعي على سبيل الدراسة لا الحصر.

(1) ينظر: إسماعيل مغمولي، **الدلالة السياقية للنص القرآني**، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة باجي مختار عنابة – الجزائر، ع1، 2022م، ص1184.

(2) محمد على الخولي، **معجم علم اللغة النظري**، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، ط1، 1982م، ص156.

(3) المرجع نفسه، ص53.

أولا: السياق النحوي

"تنشأ الدلالة النحوية عن تضافر العلاقات بين الوحدات اللسانية, ضمن شبكة من العلاقات ممثلة في علاقة الإسناد والتخصص والإضافة. إذ تتفاعل هذه الوحدات بما يسمح للمتكلم بالتعبير عن أغراضه ومقاصده، كأن يقدم أو يؤخر أو يحذف أو يذكر أو يقيد أو يطلق أو يخصص أو يعمم وهكذا في كل مقام" [1]. ووجدنا أن في المجال النحوي عدة أبواب إلا أن اختيارنا توجه نحو الإشارة إلى العلامة الإعرابية والتقديم والتأخير والحذف والذكر .

1. العلامة الإعرابية:

"تعد العلامة الإعرابية من المباحث التي تدل على أبواب نحوية كالإسناد والتخصيص والإضافة، فهي قرينة لفظية موجهة لخطاب المتكلم.

نحو قوله تعالى: ((وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ))[2]. فالنصب قرينة موجهة للمعنى المراد الذي يفيد معنى الشمول ضمن السياق العام للخطاب القرآني ,الذي يفيد علم الله المطلق وأن كل الأشياء ما دقّ منها وماجل محصية في كتاب الله, يقول السمرائي موجها دلالة النصب: فإن قلتها بالنصب كان نصا في المعنى الثاني وهو أنه ترك كل شيء له، بنصب (كل) والتي بمعنى أحصى كل شيء، ولو قالها بالرفع لاحتمل معنى أخر لا يصح أن يرد وهو أن يكون كل شيء أحصاه أثبته في إمام مبين أما الذي لم يحصه فليس كذلك، فتكون الأشياء على قسمين محصاة وغير محصاة وهذا لا يصح ,فورود الآية بالنصب يأتي منسجما مع السياق العام للخطاب القرآني الذي يفيد العلم المطلق نحو قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ

(1) عبد القادر بن زيان، **فاعلية السياق في توجيه الدلالة – دراسة في المستويات اللسانية في الخطاب القرآني** –، مجلة أنثروبولوجية الاديان، جامعة زيان عاشور، الجلفة – الجزائر، ع1، 2022م، ص394.

(2) سورة ياسين، الآية: 12.

وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾)[1]. وقوله تعالى:(۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾)[2]".[3]، يمكن أن نخلص هنا إلى أن العلامة الإعرابية من أهم القرائن التي تضبط المعنى وأي إخلال بها يجعل المعنى يتغير وقد ينحرف عن المعنى المراد.

ولتتوضح الدلالة كان للعلاقات النحوية دور كبير في ذلك لقوله تعالى:(وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾)[4].

"فنجد كلمة (رسوله) الأولى مجرورة أما الثانية فمرفوعة وهذا ما يجب أن يكون وقد تكون منصوبة على العطف على اسم أن ولكن تكون مجرورة فلا يجوز ذلك لأن معنى الآية يمنع ذلك ويحرمه".[5]

يعني لا يمكن أن يكون الله بريء من رسوله فهذا المعنى مخالف لا يصح، وحين التدبر نجد أن القرآن ينتقي الألفاظ المناسبة في كل موقف، حتى لا يجد الناس فيه اختلاف وهذا يدل على قدرة الله لأن لوكان هذا الكلام من عند البشر لكان فيه انشقاق

(1) سورة سبأ، الآية: 03.

(2) سورة الأنعام، الآية 59.

(3) عبد القادر بن زيان، **فاعلية السياق في توجيه الدلالة**، ص396.

(4) سورة التوبة، الآية 03.

(5) خليل خلف بشير العامري، **السياق وأنماطه وتطبيقاته في التعبير**، مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية، مج 9،ع 2، 2010م، ص43.

واختلاف استناد لقوله تعالى:(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾)[1].

"فالسياق النحوي يبحث في معنى الجملة ومعنى الجملة ليس مجموع معاني الكلمات المفردة التي ترد فيها إذ أن التغيير في البنية التركيبية وعلاقات الكلمات ووظائفها وموقعها في الترتيبة من شأنه أن يبدل في المعنى فلو قلت :أتعبني الظرف الحالي والظرف الحالي أتعبني بالرغم من تغير الجملتين من فعلية إلى اسمية لم تتغير دلالاتهما ضمن سياقهما النحوي ,أما قولنا قيمت للمشرف جهده والمشرف قيم جهدي فإن التغيير في الكلمات أدى إلى تبديل المعنى".[2]

2. التقديم والتأخير:

ومن الأمثلة التي توضح أهمية التقديم والتأخير ضمن السياق النحوي، نحو قوله تعالى مخاطبا المشركين بخطابين متشابهة ألفاظهما مختلفة مقاصدهما ومقاماتهما ،ففي سورة الأنعام يأتي الخطاب القرآني على هذا النحو:(۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾)[3]، وأما في سورة الإسراء فيأتي الخطاب القرآني على هذا النحو: (وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾)[4].

(1) سورة النساء، الآية 82.

(2) ذيب نور الهدى، **السياق ودلالته في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي – الجزائر، 2020م، ص27.

(3) سورة الأنعام، الآية 151.

(4) سورة الإسراء، الآية 31.

"ففي الأول قدم ضمير المخاطبين على الأولاد وفي الثانية قدم ضمير الأولاد على المخاطبين، لأن الخطاب في الأول للفقراء بدليل من إملاق الذي يفيد أنهم في حال فقر فكان رزقهم أهم وأولى من رزق أولادهم فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم وفي الثانية جاء الخطاب للأغنياء بدليل "خشية إملاق "فإن الخشية تكون من أمر لم يقع بعد فكان رزق أولادهم في هذا السياق هو موضع الاهتمام دون رزقهم، فرزقهم حاصل فقدم الوعد برزق الأولاد على رزقهم، جاء في روح المعاني وقيل الخطاب في كل آية لصنف وليس خطابا واحدا، فالمخاطب بقوله سبحانه :(مِنْ إِمْلَاقٍ) من ابتلى بالفقر ،وبقوله تعالى :(خشية إِمْلَاقٍ) من لا فقر له ،ولكن يخشى وقوعه في المستقبل ،ولهذا قدم رزقهم هاهنا في قوله عز وجل نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) وقدم رزق أولادهم في مقام الخشية (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) وهذا كلام حسن".[1]

وبعد هذا نتطرق إلى آيات تقدم فيها المسند إليه على المسند، ولنأخذ سورة النحل شاهدا على هذا التقديم ففي قوله تعالى:(وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠)[2]، وقوله:(وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡ)[3]، وقوله:(وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا)[4].

"تقدم المسند إليه (لفظ الجلالة) على المسند (الفعل) مما حدا بالدكتور إبراهيم أنيس أن يعد هذا النظام أسلوبا من أساليب القصر يلجأ إليه في الكلام عند إرادة قصر صفة من الصفات على المسند إليه ففي هذه السورة المباركة وأمثالها جاء تقديم لفظ الجلالة على الفعل بيانا لنعمه الكثيرة على الناس ،وتذكيرا على آلائه على العباد، ودفعا لما يتوهم من أن له شريكا فيها أو أن الإنسان يدا في الحصول عليها فاقتضى المقام أمر تدبيرها على الله سبحانه، وأن يؤكد هذا المعنى في أذهان العباد، ومن هذا يمكن أن نقول ان

(1) عبد القادر بن زيان، **فاعلية السياق في توجيه الدلالة**، ص395.

(2) سورة النحل، الآية 65.

(3) السورة نفسها، الآية 70.

(4) السورة نفسها، الآية 72.

التقديم لفظ الجلالة يدل على التعظيم والتبجيل".[1]، نستخلص من خلال هذا أن من أحد أسرار تقديم لفظ على أخر هو لبيان العظمة والأهمية.

عند التدبر في آيات كتاب الله نجد أن هناك ألفاظ مذمومة تتقدم على ألفاظ ممدوحة ,لأن السياق يقتضي ذلك مثل قوله تعالى:(إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾)[2]، وحفلت بمشاهد كثيرة من التعذيب حيث قال تعالى:(يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾)[3].

إنّ الله تعالى قد فضل الشر على الخير لأن السياق يقتضي ذلك والواقع أنه قدم الشر على الخير، لأن السياق سياق عذاب وسوء ولو انه فضل الشر على الخير فكيف نفهم دعوة الأنبياء إلى فعل الخير وتجنب الشر ولاسيما ان الله تعالى يثيب على فعل الخير ويعاقب على فعل الشر. فهو القائل (فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ)[4] وهو الموحي إلى الأنبياء بفعل الخيرات في قوله تعالى:(وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾)[5]، ولعل جمعه كلمة (خير) على (خيرات) في عشرة مواضع في القرآن وعدم جمعه كلمة (شر) على هذا الجمع يوحي بتفضيله الخير على الشر أما ورود كلمة (الشر) أكثر من كلمة (خير) فهذا يعود إلى دعوة الباري عزّ وجل عباده إلى الابتعاد عن الشر والأشرار ومرافقة الخير

(1) خليل خلف بشير العامري، **السياق وأنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني** ، ص42-43.

(2) سورة المعارج، الآيتين: 20 – 21.

(3) السورة نفسها، الآيات: 11 – 14.

(4) سورة البقرة، الآية: 148.

(5) سورة الأنبياء، الآية: 73.

والأخيار قال أبو العلاء المعري: عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر يقع فيه.[1]

نستنتج مما سبق أن التقديم الخير على الشر هو تفضيل من الله عزّ وجل لفعل الخيرات والابتعاد عن المنكرات وأن صاحب الخير فائز من البداية وصاحب الشر خاسر في النهاية.

3. الحذف والتكرار:

"ويبرز السياق النحوي في حذف لفظ أو أكثر على وفق السياق القرآني مؤديا هذا الحذف غرضا بلاغيا في غاية الجمال، وللحذف مواضع عديدة منها حذف الأسماء وحذف الأفعال وحذف الحروف ونحن في بحثنا سلطنا الضوء على نماذج من حذف الحروف على أمل أن نبرز جمالية الحذف"[2].

- **حذف التاء:**

حيث قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾[3]، والكلمتان (اسطاعوا) و(استطاعوا)، جاءت هاتان الكلمتان في سورة الكهف في الحديث عن السد، الذي بناه ذو القرنين على يأجوج ومأجوج.

وأنه بعد أن بناه عليهم كي يمنع فسادهم أرادو الخروج ,فحاولوا تسلق السد فلم يفلحوا، ثم حاولوا أن ينقبوه أو يخربوه، فلم يستطيعوا كذلك، قال تعالى ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾. ومنه لماذا حذف التاء في الأولى وأثبته في الثانية؟، فعل ذلك ليتناسب مع السياق فتسلق السد شيء لطيف يحتاج إلى لطف وخفة ورشاقة في

(1) ينظر: خليل خلف بشير العامري، **السياق وأنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني**، ص43.
(2) المرجع نفسه، ص44.
(3) سورة الكهف، الآية: 97.

الجسم، فناسب حذف التاء، والنقب والخراب شيء ثقيل يحتاج إلى جهد وقوة فناسب ذكر التاء ليكون ثقل الكلمة مناسب لثقل الفعل، وخفة الكلمة مناسب لخفة الفعل.[1]

وحذفت التاء في فعل: (تفرقوا) في سورة آل عمران وذكرت في سورة الشورى: (تتفرقوا) قال الله تعالى:(وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ)[2].

و لكن في سورة الشورى قال تعالى: (۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣)[3].

حذفت التاء في سورة آل عمران لأن الخطاب في سورة آل عمران للأمة المسلمة، وهي أمة واحدة، فناسب أن يكون الفعل بتاء واحدة ،بينما السياق في سورة الشورى عن الإخبار بما وصى به الله تعالى الأمم السابقة التي بعث الله فيها باقي أولي العزم من الرسل، وهي أمم عديدة مختلفة بينها أعوام طويلة جدا، فناسبت التاءان في الفعل لتنوع الأقوام وطول الزمان الذي عاشه مجموع هذه الأمم، ومن حكمة ذلك أيضا، أن الأمة الإسلامية منهية عن أدنى اختلاف قلت نسبته، لأن ذلك يوهنها، فدل على تحريم أي شيء من الاختلاف مهما قل ولكن هذا المعنى غير مراد في الأمم الأخرى، لأنها انتهت ،فلم يحذف من فعلها شيء فبقي على حاله.[4]

(1) ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، دار عمار، عمان – الأردن، ط1، 2000م، ص242-244.

(2) سورة آل عمران، الآية: 103.

(3) سورة الشورى، الآية: 13.

(4) ينظر: فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، شركة الفانك لصناعة الكتاب، القاهرة – مصر، ط2، 2006م، ص12-13.

نلاحظ كأن التاء ذات وزن حذفت لتدل على موقف الخفة والرشاقة وذكرت في موقف الثقل والشدة وهناك نوع من البلاغة في تتابع الذي يشير إلى تتابع الأقوام ووجود التاء لوحدها يدل على الأمة الواحدة.

- **حذف ياء النداء :**

حذفت ياء النداء كثيرا في القرآن الكريم مثال ذلك في قوله تعالى:(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾)[1]. والتقدير يا ربِّ، حذفت الياء كثير في هذه اللقطة في القرآن الكريم، وذلك تأدبا مع الله عزّ وجل تنزيها وتعظيما، لأن في النداء طرفا من الأمر، ولقوة الدلالة على المحذوف.[2] تقول إلهام شاهين –أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر – إنه في مواطن الدعاء لم يرد في القرآن الكريم نداء الله تعالى بحرف المنادي ياً، وإنما بحذفها في كل مواطن الدعاء بالقرآن الكريم ،والسر في ذلك أن ياً النداء تستعمل لنداء البعيد والله تعالى أقرب لعبده من حبل الوريد ،فكان مقتضى البلاغة حذفها امتثالا لقوله تعالى:(وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾)[3]، ولطيف في الأمر أنه زارتنا أية في هذا صدد نذكرها حيث قال تعالى:(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾)[4]،.[5]

(1) سورة آل عمران، الآية: 36.

(2) ينظر: مرشد أحمد سعيد محمود، **الحذف والتقدير في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بهاول بور، 1990م، ص3.

(3) سورة ق، الآية: 16.

(4) سورة البقرة، الآية: 186.

(5) محمد صبري عبد الرحيم، **الحكمة من حذف ياء النداء في كل مواطن الدعاء في القرآن الكريم**، الأربعاء 28 أكتوبر 2015، 10:38م، على الموقع: https://www.elbald.news .

ونذكر هنا قوله تعالى في قصة يوسف عن كلام إخوته لأبيهم:(وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾)[1]، وقال تعالى في سورة الكهف:(قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾)[2]، فما حكمة إثبات ياء (نبغي) في سورة يوسف وحذفها في سورة الكهف (نبغ)، لقد أثبتت الياء في سورة يوسف لأن بغية وطلب الإخوة هو الطعام ,فسبب رحلتهم إلى مصر هو إحضار ذلك الطعام وبما أنه بغيتهم الأساسية أثبتت الياء في الفعل ،أما حذف الياء من الفعل في سورة الكهف:(ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ) فقد كان لحكمة، إن (ما) في الجملة اسم موصول، أي: ذلك الذي كنّا نبغيه ونرجوه، لنحصل على ما بعده. والإشارة في ذلك إلى نسيان الحوت عند الصخرة والمعنى: ذلك المكان عند الصخرة التي فقدت فيه الحوت هو الذّي نبغيه ونطلبه ونريده، ونقص من الفعل حرفا ليتوافق حينها سياق عدم تمام الفعل بعدم تمام البغية عند الصخرة لأنها وسيلة للغاية وهي لقاء الخضر عندها.[3]

ثانيا: السياق الصرفي

سنذكر في هذا السياق من القرآن الكريم تتضمن أوزان بمعنى واحد أو كأنهما بمعنى واحد مثل فعل أو أفعل و سنتطرق كذلك إلى جمع القلة وجمع الكثرة ومن بعد ذلك نختم هذا السياق بعنصر الإبدال.

ذكر ابن جني (ت392 هـ) أن علم التصريف ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به.[4]

(1) سورة يوسف، الآية: 65.

(2) سورة الكهف، الآية: 64.

(3) ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، ص247 – 249.

(4) ينظر: ابن جنى، **المنصف لكتاب التصريف**، دار الثقافة، القاهرة – مصر، ط1، 1954م، ص2.

وعرفه عبد القاهر الجرجاني(ت471 هـ) قائلا:" أن التصريف (تفعيل) من الصرف، وهو أن تصرف الكلمة المفردة، فتتولد منها ألفاظ مختلفة، ومعان متفاوتة". [1]

ويدرس السياق الصرفي السوابق واللواحق و الزوائد فكل زيادة في المبنى تكون مصحوبة بزيادة في المعنى، و غالبا ما نجد التصاق السياق النحوي مع السياق الصرفي كون النحو و الصرف يتفاعلان في سياق واحد.[2]

1. اختلاف صيغة الكلمة:

إن من اختلاف صيغة الكلمة في الاستعمال القرآني لفعل وأفعل نحو(نزل وأنزل) نجد أنه قد ذهب جماعة إلى أن (أنزل) يفيد التدرج والتكرار، وأن الإنزال عام، ولذلك سمى الكتاب العزيز تنزيلا لأنه لم ينزل جملة واحدة.

ألا ترى قوله تعالى: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢)[3].

وجاء في (ملاك التأويل) في قوله تعالى:(نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣)[4].

إنّ لفظ أنزل (نزل)، يقتضي التكرار لأجل التضعيف، تقول (ضرب) مخففا لمن وقع منه ذلك مرة واحدة، ويحتمل الزيادة، والتقليل أنسب وأقوى. يعني هنا بيان أن القرآن الكريم يختار الألفاظ المناسبة مع السياق المناسب.

أما إذا قلنا (ضرب) بتشديد الراء، فلا يقال إلا لمن كثر ذلك منه، فقوله تعالى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ} يشير إلى تفصيل المنزل وتنجيمه بحسب الدواعي، وأنه لم ينزل دفعة

(1) عبد القاهر الجرجاني، **المفتاح في الصرف**، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط1، 1987م، ص2.

(2) ينظر: مصطفى عواطف كلوش، **الدلالة السياقية عند اللغويين**، دار السياب، جامعة إنديانا، ط1، 2007م، ص63.

(3) سورة الفرقان، الآية: 32.

(4) سورة آل عمران، الآية: 03.

واحدة، أما لفظ (أنزل) فلا يعطي ذلك إعطاء (نزل) وإن كان محتملا، وكذلك جرى أحوال هذه الكتب، فإن التوراة إنما أوتيها موسى عليه السلام جملة واحدة في وقت واحد أما الكتاب العزيز، فنزل مقسطا من لدن ابتداء الوحي. ولتأكيد ذلك نلاحظ الآية في قوله تعالى:(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ)[1].

والمراد في هذه الآية هو القرآن، ثم قال (وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُ) و المراد التوراة.

والذّي يبدو أن استعمال (نزل) قد يكون للتدرج والتكثير، وقد يكون للاهتمام والمبالغة فالتنزيل قد يستعمل فيما هو أهم و أبلغ من الإنزال.[2]

كما في (أوصى) و (وصى) لما هو أهم لما فيه من المبالغة فهم يستعمل الكلمة الأولى للأمور المادية و الكلمة الثانية للأمور المعنوية و للأمور الدين، وذلك نحو قوله تعالى:(وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًا)[3]، وقوله: (وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾)[4] (ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾)[5]. في حين قال:(يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ)[6]، ووجدنا أن صاحب الكتاب(بلاغة الكلمة) قد أشار إلى أنه لم يستعمل (أوصى) في الأمور المعنوية وأمور الدين إلا في قوله تعالى:(وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا

(1) سورة النساء، الآية: 136.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، ص60.

(3) سورة العنكبوت، الآية: 08.

(4) سورة البقرة، الآية: 132.

(5) سورة الأنعام، الآية: 151.

(6) سورة النساء، الآية: 11.

كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴿٣١﴾)[1]. وذلك لاقتران الصلاة بالزكاة.[2]

2. الجمع والإفراد:

خلال البحث وجدنا أنه تم استعمال جمع القلة و جمع الكثرة في القرآن الكريم سنذكر الأمر بالإضافة إلى الجمع و الإفراد بما أنهما في نفس المنحى حيث قال تعالى:(مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ)[3].

وقال تعالى:(وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ)[4].

"إذا العدد المذكور هو سبعة، لكنه استعمل معه تارة جمع الكثرة، وتارة أخرى جمع القلة والسبب لأن الأولى سيقت في مقام التكثير و المضاعفة فجيء بها على سنابل لبيان التكثير أما الآية الثانية فجاء بها على القلة لأن السبعة قليلة و لا مقتضى للتكثير".[5]

وبعد هذا ننتقل إلى نموذج آخر لنبين فيه المقصود أكثر.

حيث قال تعالى:(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾)[6]، وقال تعالى:(خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾)[7]، نجد أنه جمع لفظ

(1) سورة مريم، الآية: 31.

(2) ينظر: فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني** ،ص59.

(3) سورة البقرة، الآية: 261.

(4) سورة يوسف، الآية: 43.

(5) خليل خلف بشير العماري، **السياق و أنماطه و تطبيقاته في التعبير القرآني**، ص 48.

(6) سورة العنكبوت، الآية: 24.

(7) السورة نفسها، الآية: 44.

آية في إنجاء إبراهيم عليه السلام من النار بينما أفراد اللفظ عند ذكر خلق السماوات والأرض. ولتفسير ذلك أخذنا ما أوضحه الخطيب الاسكافي حيث يرى أن آية إبراهيم عليه السلام أية لقومه و الأمم من بعده فناسب الآية الجمع و أما إفراده لأن المراد أمة محمد وهي آخر الأمم فجاءت الآية واحدة لأمة واحدة.[1]

ومن هنا نقول أن اختلاف اللفظ في القرآن الكريم له بلاغة و إعجاز كما أن هذا الاختلاف له أمور ظاهرة كما فسرنا في الأعلى وهناك أمور باطنة خصها الله لنفسه ولمن يشاء من عباده.

3. الإبدال:

في هذا الصدد نجد القرآن الكريم أنواع من الإبدال إلا نحن سنخص الذكر نحو إبدال الكلمات.

قال تعالى:(وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾)[2].

وقال أيضا:(وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾)[3].

"عن استعمال الكلمتين (رددت) و (رجعت) في هاتين الآيتين يعود إلى سياق ما سبقهما من آيات ولقد ناسب لفظ الرد الذي يحمل معنى الكرامة ناسب مجيئه في سورة الكهف خلاف ما جاء في سورة فصلت التي يذكر فيها ما يدل على الكراهة فجاءت بلفظ

(1) ينظر: الخطيب الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001م، ص 1010.

(2) سورة الكهف، الآية: 36.

(3) سورة فصلت، الآية: 50.

رجعت بقوله: الرد عن الشيء يتضمن كراهة المردود، ولما كان في الكهف تقديره ولئن رددت عن جنتي هذه التي تظن إلا تبيد أبدا، كان لفظ الرد الذي يتضمن الكراهة أولى".[1]

وبعد هذا نتطرق إلى ما ذكره ابن جماعة حيث يرى أن مفارقة صاحب الكهف لجنته أشد من مفارقة صاحب فصلت الذي لم يبلغ في وصف ما كان فيه، فالموقف الذي كان فيه صاحب الكهف إذا هو الذي فرض استعمال لفظ الرد فقال: في لفظ الرد من الكراهة للنفوس ما ليس في لفظ الرجوع فلما كان آية صاحب الكهف وصف جنته بغاية المراد بالجنان كانت مفارقته لها أشد على النفس. [2]

عند ملاحظة قوله تعالى : **{وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي}** من (سورة الكهف الآية: 36) نجد أنه مستسلم لأمر الله حيث لم يكن من أمر جنة الدنيا له أهمية في نفسه حيث لم يكن مثل صاحبه الذي جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه حتى طغى ونسى أمر ربه ونتعلم من هذا الدرس أن على الإنسان أن يتأمل في خلق الله ولكن عليه أن يرجع الأمر للخالق وذلك مهما اشتد حبه لأمر من الدنيا وضرب الله هذا المثل مستخلصين منه أن على المؤمن أن يتقي الله .

وبعد هذا نتطرق إلى نموذج آخر الذي لفت انتباهنا في كتاب (البلاغة الكلمة في التعبير القرآني) حيث قال تعالى:(فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾)[3].

(1) محمود بن حمزة، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، دار الكتب العلمية ببيروت لبنان، ط 1، 1976م، ص121.

(2) ينظر: بدر الدين بن جماعة، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، دار الوفاء جامعة الدراسات الإسلامية باكستان، ط 1، 1990م، ص 240.

(3) سورة يوسف، الآية: 88.

وقوله:(إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّآئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَا ﴿٣٥﴾)[1].

فقال في آية يوسف: (المتصدقين) وقال في آية الأحزاب: (المتصدقين والمتصدقات) غير أنه قال في آية الحديد: (إن المصدقين و المصدقات) بالإبدال ووجدنا أن الكتاب أشار إلى أن كل تعبير ناسب موطنه، ففي آية يوسف قال: **{إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ}** ولم يقل (المصدقين) لأكثر من سبب: منها أنه مناسب لقوله **{وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا}**، ومنها أنهم طلبوا التصديق ولم يطلبوا أن يبالغ لهم في الصدقة، وذلك من حسن أدبهم، ومنها أنه لو قال: **(إن الله يجزي المصدقين)** لأفاد ذلك أن الله يجزي المبالغين في الصدقة دون من لم يبالغ. وهذا غير مراد فإن الله يجزي على القليل والكثير وهو يجزي المتصدق والمصدق، فقوله: **{إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ}** يدخل فيه المصدقون، ولو قال: (يجزي المصدقين) حينها لن يدخل المقللون في صدقاتهم.[2]

وتعوذ بالله أن يكون غير عادل وهو الذي قال في كتابه العزيز:(مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾)[3].

(1) سورة الأحزاب، الآية: 35.

(2) فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، ص 40.

(3) سورة ق، الآية: 29.

ثالثا: السياق الصوتي

قال الخطابي إن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة: لفظ حاصل، و معنى به قائم، و رباط لهما ناظم، و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه.[1]

وهذا مما ينطبق على الدلالة الصوتية من الوقع السمعي للفظ، و التأثير الذي تبثه في النفس و هناك الكثير من هذه المظاهر في القرآن و لن نستطيع أن نحصرها في هذا العمل البسيط، ولذلك اجتهدنا على أن نقف عند المهم منها.

1. دلالة الصدى الحالم:

تنطلق في القرآن الكريم أصداء حالمة، في ألفظ يملأها الحنان، تؤدي معناها من خلال أصواتها، و توحي بمؤداها مجردة من التصنيع و البديع، فهي ناطقة بمضمونها هادرة بإرادتها، دون إضافة وإضاءة، و ما أكثر هذا المنحنى في القرآن، و ما أروع تواليه في آياته الكريمة، و لنأخذ عينة على هذا فتقف عند الرحمة من مادة (رحم) في القرآن الكريم بجزء من إرادتها و لمح من هديها.

قال تعالى:(أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ)[2].

قال تعالى:(وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧)[3].

وقال تعالى:(فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ)[4].

(1) الخطابي، **في إعجاز القرآن**، دار المعارف، مصر، ط 3، 1987م، ص28.

(2) سورة البقرة، الآية: 157.

(3) سورة آل عمران، الآية: 157.

(4) السورة نفسها، الآية: 159.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[2].

خلال قراءتنا لهذه الآية نستشعر وجود نوع من الرحمة والتذلل الذي يرفعك في مقام الفائزين فأنت تنادي من الصدى الرحمة بأزيز حالم، وتحتفل من صوتها بنداء يأخذ طريقه إلى العمق النفسي، يهز المشاعر، ويستدعي العواطف، ناضجا بالرضا والغبطة والبهجة، رافلا بالخير والإحسان.[3]

فماذا يرجو أهل الإيمان أكثر من اقتران صلوات ربهم برحمته بهم و عليهم، ولمغفرة من الله ورحمته خير مما تجتمع خزائن الأرض و كنوزها و هذا محمد صلى الله عليه وسلم ذو الخلق العظيم، لولا رحمة ربه لما لان لهؤلاء القوم الأشداء في غطرستهم وغلطتهم، وهذا زكريا تتداركه رحمة من الله في أوج احتياجه و فزعه إلى الله عزوجل حيث قال تعالى:﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣﴾[4].

فيهب له يحي: ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾[5].

(1) سورة الأعراف، الآية: 151.

(2) سورة الإسراء، الآية: 24.

(3) ينظر: محمد حسن الصغير، **الصوت اللغوي في القرآن**، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان، ط1، 2000م، ص17.

(4) سورة مريم، الآية: 03.

(5) سورة آل عمران، الآية: 74.

ووقفة مستوحية عند الأبوين الكريمين حيث قال تعالى: (وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤)[1].

فستلمس صيغة الرحمة قد تجلت بأرق مظاهرها الطارقة وأرقاها، توجيه رحيم، واستعارة هادفة، وعاطفة مهذبة، فقد اقترنت الرحمة بالاسترحام، وخفض الجناح بتواضع، فكما يخفض الطائر الوجل أو المطمئن جناحيه أو عطفا أو احتضانا لصغاره حبا بهم، أو صيانة لهم من كل الطوارئ، فكذلك رحمة الولد البار بوالديه شفقة ورعاية، مواساة ومعاناة، في حالتي الصحة والسقم، الرضا والغضب، يضاف إلى الدعاء من الأعماق (وقل ربي ارحمهما) والرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة نحو: رحم الله فلانا وإذا وصف به الباري فليس يراد به إلا الإحسان المجرد دون الرقة، وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال، ومن الآدميين رقة وتعطف.

فالله تعالى تفرد بالإحسان في رحمته إلى رعيته فجاء له الحمد على سياق هذه الرحمة حيث قال تعالى:(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣)[2].

ولو تابعنا أصل المادة لغويا لوجدتا ملاءمتها للمعنى صوتيا في الرقة واللحمة والتناسب، فالرحم رحم المرأة، قال تعالى:(هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦)[3]. ومنه استعير الرحم للقرابة لكونهم من رحم واحد تسببا، لذلك قال تعالى:(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥)[4].

(1) سورة الإسراء، الآية: 24.

(2) سورة الفاتحة، الآيتين: 2 – 3.

(3) سورة آل عمران، الآية: 6.

(4) سورة الأنفال، الآية: 75.

ولولا قرابتهم لما كانت الولاية بينهم، فكان الالتصاق في الرحم قد نشر الالتصاق بالولاية من جهة، وجدد الرحمة بالرقة والمودة والعطف الكريم.[1]

2. دلالة الصوت بين الخفة والثقل:

هناك تفاعل دائما بين الشكل الصوتي والسياق الذي يرد فيه، بحيث تتضافر العناصر الدالة من أصوات لها إيحاءاتها ومناسباتها، وتكون معاني الأصوات إذن معان تركيبية، وليست معان إفرادية. ويتضح هذا الأمر أكثر من خلال المثال التالي قال تعالى:(فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾)[2].

والزجرة هنا هي الصيحة، ولكنها تقال بهذا اللفظ العنيف تنسيقا لجو المشهد مع مشاهد السورة جميعا، وهذه الزجرة الواحدة يغلب بالاستناد إلى النصوص الأخرى أنها النفخة الثانية، نفخة البعث والحشر، والتعبير فيه سرعة، وهي ذاتها توحي بالسرعة، و إيقاع السورة كلها فيه هذا اللون من الإسراع والإيجاف، والقلوب الواجفة تأخذ صفتها هذه من سرعة النبض.

يتناسق وزن الكلمة من جرس أصواتها، مع إيقاع السورة ومعنى التركيب اللغوي، ليدل على هذه السرعة المقصودة، وعلى يسر وسهولة أمر إعادة الخلق والبعث من جديد وما أحسن تسهيل أمر الإعادة بقوله (زجرة) عوضا من (صيحة) لأن الزجرة أخف من الصيحة.

وقد قال تعالى في آية أخرى:(فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾)[3].

فلاحظ تلاؤم هذا الإيحاء الصوتي الدال على السرعة، وهي المعنى المقصود التعبير عنه في هذا التركيب اللغوي، وصفت الزجرة ب(واحدة) تأكيد لما في صيغة المرة من معنى الوحدة، وهذه الزجرة هي النفخة الثانية.

(1) ينظر: محمد حسن الصغير، **الصوت اللغوي في القرآن**، ص178.

(2) سورة النازعات، الآية: 13.

(3) سورة الحاقة، الآية: 13.

في قوله تعالى:(وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨)[1]. وإنّما أريد بكونها واحدة أنها لا تتبع بثانية لها وصفت بواحدة في سورة الحاقة بهذا الاعتبار.[2]

وسنتطرق إلى إبراز خصوصية (إذا) في هذا المقام حيث أن "الإتيان ب (إذا) الفجائية للدلالة على سرعة حضورهم بهذا المكان عقب البعث، وعطفها بالفاء لتحقيق ذلك المعنى الذي أفادته (إذا) لأن الجمع بين المفاجأة والتفريغ أشد ما يعبر به عن السرعة مع إيجاز اللفظ".[3]

"يعد السياق عنصرا فاعلا في توجيه الدلالة والكشف عن مقاصد وأغراض المتكلم، من ذلك نجد اختيار لصوت الهمزة بدل صوت الهاء في قوله تعالى:(أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣)[4].

فالناظر في الخطاب القرآني يلفي أن توظيف صوت الهمزة التي تتضمن خصائص القوة والشدة اختيار مقصود، فهي صوت حلقي مجهور يكون معه غلق محكم في الوترين الصوتين مما يعطي صفة القوة والشدة، وهذا بخلاف صوت الهاء الذي يوصف بأنه حلقي مهموس يكون معه الوتران الصوتيان في حال ارتخاء مما يسمح بمرور النفس دون اعتراض أو حبس له ".[5]

فلو أن التعبير القرآني ورد على هذا النحو (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تهزهم هزا) لصح المعنى لكن القصد المراد يفوت من هذه الجهة، و لأن السياق سياق العذاب والشدة على الكافرين ناسب أن يأتي التعبير القرآني موظفا صوت الهمزة

(1) سورة الزمر، الآية: 98.

(2) ينظر: كاملي بشير، **الصوت والدلالة في القرآن الكريم**، مذكرة الماجستير، جامعة العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران – الجزائر، 2013م، ص 228– 229.

(3) المرجع نفسه، ص300.

(4) سورة مريم، الآية: 83.

(5) عبد القادر بن زيان، **فاعلية السياق في توجيه الدلالة**، ص390.

التي تتضمن هذه الملامح الصوتية المشاكلة للسياق العام لسورة مريم عليها السلام، وفي هذا الساق نلفي ابن الجني قد ألمح إلى دقة الفرق بين هذين الصوتين في باب (تصاحب الألفاظ لتقاصب المعاني) واعتبارهما في التخاطب، إذ يقول: من ذلك قوله سبحانه: (أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾)[1].

أي: تزعجهم و تقلقهم فهذا في معنى تهزهم هزا، و الهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، و كأنهم خصوا هذا المعنى بهمزة لأنها أقوى من الهاء، و هذا المعنى أعظم في النفوس من الهمز، لأنك قد تهز ما لا بال له، كالجذع و ساق الشجرة، و نحو ذلك.

ولقد أشار ابن جني إلى الفرق الصوت وما يترتب عليهما من المعاني تكون مقصودة في التخاطب كالفرق بيت صوتي (الحاء) و (الخاء) في باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني.

فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، و القاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على مسموع الأصوات على مسموع الأحداث، مع ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه أقوى من النضح قال الله تعالى:(فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾)[2]. فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف و الخاء لغلظتها لما هو أقوى منه.

فالآية تقع ضمن سياق الحديث عن وصف الجنة وما فيها من نعيم في الجوانب مختلفة، منها الدقة وصف العينين بقوة الدفق وشدته بما يمتع المقيم في الجنات، و قد أشار إلى ذلك ابن عاشور من خلال بيان وضيفة صوت الخاء هاهنا في التعبير عن هذا المعنى: (فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء، والنضخ بخاء معجمة في آخره أقوى من النضح بالحاء المهملة الذي هو الرش).[3]

(1) سورة مريم، الآية: 83.

(2) سورة الرحمان، الآية: 66.

(3) ينظر: عبد القادر زيان، **فاعلية السياق في توجيه الدلالة**، ص 301 – 302.

ومن ذلك أيضا، ما ذكره الشيخ محمد الغزالي عند تفسير قوله تعالى:(فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠)[1].

إذ يقول: وكنت أسمع هذه الآيات من فم قارئ ندى الصوت وقف على كلمة (مغلوب) وأطال المد الواو ست حركات مليئة بالقهر والضراعة والاستنجاد، خيل إلي أنها امتلأت بآلام تسعة قرون ونصف من جهاد الدعوة وفشل الاستجابة، ونظرت حولي فرأيت الدموع تطفر من الأعين رقة لعبودية نوح واستغاثته ويشير الدكتور صبحي الصالح لأدي الإعجاز في نغم القرآن بقوله: إن هذا القرآن في كل سورة منه وآية وفي كل مقطع منه وفقرة وفي كل مشهد منه وقصة.

و حين تتسمع همس السين تكاد تستشف نعومة ظلها مثلما تستريح إلى خفة وقعها في قوله تعالى عزّ وجل:(فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨)[2]، و تقرأ قوله تعالى: (فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ)[3]، فلا ترى في المعجم غير ثقل كلمة (زحزح) تصور مشهد الإبعاد والتنحية، يكل ما يقل ما يقع في هذا المشهد من أصوات و ما أحسب شفتيك إلا منطبقتين استقباحا واستهجانا لحال الكافر الذي يترجع صديده و لا يكد يسيغه، في قوله تعالى:(مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧)[4]. [5]

(1) سورة القمر، الآية: 10.

(2) سورة التكوير، الآيات: 15 – 18.

(3) سورة آل عمران، الآية: 185.

(4) سورة إبراهيم، الآيتين: 16 – 17.

(5) ينظر: محمد محمد داود، **من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، جامعة كاليفورنيا، أمريكا، 2010م، ص50–52.

3. دلالة التكرار الصوتي:

ونختار هنا سورة الرحمان أولا لأنها تعد أحد أجمل أمثلة الإعجاز في التكرار الصوتي، حيث عددت نعم الله سبحانه و تعالى، و مخلوقاته و حقائق الكون، ووصفت الجنة ويوم القيامة فأبرزت قمة ما تحمله اللفظة من إيحاء الصوت فضلا عم محتواها ومعناها فكانت مفعمة بالدلالات الإيحائية والصوتية التي تناسقت قال الله تعالى(ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩)[1]، إلى أخر السورة المباركة حيث وصفت لنا نعم الله الكثيرة وأولها نعمة القرآن ثم تلاها خلق الإنسان، وأن الله علمه البيان و أن الله خلق الشمس والقمر والنجم والشجر والأرض وكل ما عليها من فاكهة و نخل و ريحان.

نجد أن السورة صورت لنا بديع خلق الله فجاءت الألفاظ مواتية لذلك المشهد في معناها وجرسها، حيث نلاحظ طغيان حرف النون والميم، فهما صوتان أنفيان بحسب كيفية مرور الهواء وهم أيضا صوتان شديدان (وقفتان) وفي هذه الخاصية الثنائية (مطلق وقوف الهواء، وخروجه حرا طليقا) من منفذ ما تشترك معهما اللام فعند خروج حرفي الميم والنون عند النطق يقف الهواء ثم يخرج حرا طليقا ويوحي لنا بذلك الامتداد المستمر والواسع الفسيح الذي لا حدود له لنعم الله والتي لا تعد وتحصى ثم جاء تكرار الآية الكريمة **{فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}** فجعل تكرار الآية وقعا على النفس فبعد كل هذا الخلق المتزامي الأطراف كيف لنا نحن معشر الجن والإنس أن ننكر ونجحد ونكذب فجاء هذا التكرار معززا للألوهية.[2]

---

(1) سورة الرحمان، الآيات: 1 – 9.

(2) ينظر: قروج نعيمة، **إيحاء الدلالة الصوتية ودورها في إبراز معاني النص القرآني**، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، (د. ت)، ص81-82.

وللنصت معا إلى الجرس الصوتي لحرف السين الذي يتكرر في هذه السورة الكريمة:(قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦)[1].

فحرف السين الذي تكرر في هذه السورة صوت صامت لثوى احتكاكي.

وقد اختير هذا الصوت بصفة خاصة التي يخافت بها أهل الجرائم وما يلقيه الشيطان في روع الإنسان ليزين له المعاصي، وهو أدل بجرسه الصوتي الهامس على تصوير حالة الهمس الخفي.[2]

واستمع مرة أخرى إلى هذا التصوير الرائع لهول يوم القيامة الذي يختل فيه نظام الكون فتهتز الأرض وتنشق السماء، وترتعد القلوب، حيث نلاحظ تكرار صوتي الراء والفاء على وجه الخصوص.

قال تعالى:(يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨)[3].

حيث نشعر بهذه الرجفة التي تشيع في النفس، ونحن نستمع غلى تكرار صوت الراء الذي تتابع في نطقه طرقات اللسان على اللثة تتابعا سريعا يصور أبدع تصوير هذه الرعشة التي تنتاب الأرض والسماء، يساعده في ذلك الفاء، وصوت الجيم و هو صوت صامت مجهور لثوى حنكى انفجاري احتكاكي مركب ويسبقه صوت صائت طويل يبرز تكرار حرف الراء ويعطيه استمرار أكثر، وكثافة موسيقية أغزر، ثم ينقطع النفس وسنفلق مجرى الهواء حين النطق بالجيم.

(1) سورة النّاس، الآيات: 1 – 6.

(2) ينظر: كمال الدين عبد الغنى المرسى، **فواصل الآيات القرآنية**، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الإسكندرية، ط1، 1999م، ص172

(3) سورة النازعات، الآيات: 6 – 8.

لا تقتصر البلاغة القرآنية على تكرار الصوت المفرد للاستعانة بجرسه في تصوير موقف ما تصويرا فنيا، ولكنها تتعدى ذلك إلى تكرار أصوات متتابعة، قد ينتظم تتابعها، وقد يختلف اختلافا يسيرا، وهي في النهاية تأتي بما لها من صفات صوتية خاصة لتعبير عم معنى معين، و إبراز جوانبه المختلفة، وتصويره بجرس ألفاظه تصويرا موحيا مؤثرا.

ولتوضيح أكثر نستمع قوله تعالى:(كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾)[1].

نرى في تكرار هذا (الدك) أكثر من مجرد التوكيد، حيث أن في توالي الدك و تكراره تصوير حسيا مجسما لدك أجزاء الأرض جزءا جزءًا، و تكرار ذلك مرة بعد مرة حتى تفنى ثم اختيار الدك دون غيره من الأفعال يشعرك بأصواته الانفجارية التي ينحبس عند النطق بها الهواء انحباسا تاما، ثم لا يكاد ينساب حتى ينحبس في صوت انفجاري آخر.

وهنا ينبثق شعور الإحاطة بالأرض والإطباق عليها حتى لا يفلت منها جزء من الأجزاء حال هذا الدك المتوالي. [2]

والملاحظ أن سياق الآية ناسب هذا الدك ليدل على البلاغة القرآنية.

ومن الأمثلة التي توضح ما سبق ذكره قوله تعالى في محكم تنزيله: (وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾)[3]؛أي يجعل الجبال بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها، والقاع والصفصف بمعنى واحد وهو المستوى من الأرض لإنبات فيه وليس للجبل فيه أثر.

إن الآيتين الكريمتين تصوران لنا مشهد مفزع من مشاهد يوم القيامة وكيف أن الجبال مع عظمتها تصبح كالرمل تذرها الرياح وتصبح الأرض قاحلة منكشفة لا حياة فيها كما تعطينا الآيتين الكريمتين إيحاءً صوتيا رائعا تجسد في تكرار لفظ ينسف نسفا.

(1) سورة الفجر، الآية: 21.

(2) ينظر : كمال الدين عبد الغنى المرسى، **فواصل الآيات القرآنية**، ص173 – 175.

(3) سورة طه، الآيتين: 105 – 106.

وذلك باستعمال المفعول المطلق لزيادة التأكيد و الذي يوحي بذلك الصوت المدوي الذي يصعق الآذان ويجعل الأرض تهتز لدرجة تصبح فيها الجبال كذرات الرمل ثم تلتها الآية الكريمة الموالية بلفظتي قاعا صفصفا لتكمل المشهد المروع بتوظيف الخطاب القرآني للفظة قاع وذلك قاع وذلك لما يوحيه حرف القاف من أحاسيس تلامس القساوة والصلابة والشدة وإلى أحاسيس بصرية وسمعية من فقاعة تنفجر أو فخارة تتكسر.

فجاءت ألفاظ هاتين الآيتين الكريمتين بما يلائم المشهد، فكأننا في أرض موحشة مقفرة جزاء انفجار مهول أتى على الأخضر واليابس، فأضحت هذه الأرض خربة تشعرنا بالفزع والخوف، ثم يختم المشهد بلفظة صفصفا والتي أصلها أي استوى.

يعني نحن نستشعر خلال القراءة نوع من القوة الموجودة في تصادم الحروف كما أنها أتت مكونة من مقطعين متكررين هما صف صفا وذلك لما يوحيه صوت الصاد وهو صوت صفيري من أجواء الخوف وهول المنظر في ارض خيالية لا حس فيها ولا نبض سوى صفير الرياح، ولو استبدلنا كلمتا قاع وصفصفا بكلمة ارض لضاعت كل هذه المعاني بمعنى الكلمة. [1]

نخلص هنا إلى أن الكلمة في القرآن الكريم ذات روح تحمل في طياتها نوع من الحياة تلامس قلب الإنسان والمتدبر في كتاب الله يجد أن الألفاظ تكون دوما مناسبة مع سياق السورة بصورة بسيطة نجد في سياق الرحمة ألفاظ خفيفة على السمع وعلى القلب وفي سياق العذاب نجد ألفاظ ثقيلة الوقع على السمع والقلب حتى يستشعر الإنسان بمعنى الموقف لينجذب راغبا إلى ما يدعوا إلى الراحة والخفة ويفر راهبا من موقف الهول والفزع.

(1) ينظر: قروج نعيمة، **إيحاء الدلالة الصوتية ودورها في إبراز معاني النص القرآني**، ص76 – 77.

رابعا: السياق الإيقاعي والفاصلة القرآنية

هناك تعريفات عديدة للإيقاع إلا أننا ذهبنا لما قاله عبد الرحمن تبرماسين حيث يرى أن الإيقاع هو: انسجام الصورة مع الصوت الذي يحدث في النفس اهتزاز وشعورا بالمتعة، هذا الانسجام تحدثه العلاقة المتعدية بين الصوت والصورة، فالجذب من قبل النظر الصورة يقابله الوقع في السمع من قبل الكلمة، ونقطة التقاطع بينهما هي أحداث الأثر في النفس والإحساس بحركة الجمال التي يحدثها الإيقاع، فتحدث المتعة التي تمزج بين الصورة والسمع و يصيران كلا واحدا.[1]

ومن تعقيب الأستاذة نعيمة بكوش نلاحظ أن مفهوم الإيقاع عند صاحب النص يرتكز على الانسجام بدرجة أولى والعلاقة المترابطة بين الصوت والصورة والذي بدورهما يتشاركان في الأثر داخل النفس من متعة وجمال. وبعد هذا نتطرق إلى بعض النماذج من القرآن الكريم لإبراز جمال و دلالة الإيقاع حيث نتكلم عن التنغيم والنبر، ومن ثم ننفرد في ختام هذا العنصر بالفاصلة القرآنية.

1. النبر والتنغيم:

يمكن القول أن النبر هو وضوح نسبي لصوت من الأصوات حيث يعرف بدرجة الضغط على الصوت، وأما التنغيم بصورة بسيطة يمكن في ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام والجدير بالقول أن هناك علاقة ترابطية بين النبر والتنغيم.[2] وبعد هذا نتفضل إلى نماذج من القرآن الكريم.

قال تعالى:(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ

(1) نعيمة بكوش، **الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم**، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، ع 12، ديسمبر 2017م، ص84.

(2) ينظر: تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر، (د. ط)، 1990م، ص160 – 164.

إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾)[1]، وفي شرح الآية لكلمة اثاقلتم، أي تباطأتم وتقاعستم. حين وقوع الكلمة في السمع يتصور لك ذلك الجسم المتثاقل، يرفعه الرافعون في جهد.

فيسقط من أيديهم في ثقل، فكأن هذه الكلمة توحي على طن من الأثقال ولو أنك قلت: (تثاقلتم) وهي متساوية للفظة القرآنية (اثاقلتم) في عدد الحروف، لخف جرسها ولا ضاع الأثر المنشود ولا توارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستقل برسمها، من بلاغة اللفظ في القرآن أن هناك كلمات لو تستبدل بكلمات أخرى لا ضاع المعنى المقصود .[2]

ولنتأمل لفظة (زحزح) في قوله تعالى:(فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ)[3]، فليس ثمة لفظة أنسب من لفظة (زحزح) في هذا السياق فهي بجرسها تصور مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات : فصوت (الحاء) المكررة و(الزاي) المكررة ترسم صورة لتكرير الحدث ، كما أن لفظة (زحزح) تستعمل لشيء الثقيل حتى تحركه قليلا، فكأن حجم الذنب يجعله ثقيلا في ميزان الله تعالى ويقرب المذنب من النار قربا يكاد يشك معه أنه قادر على الإفلات منها وإذا برحمة الله (تزحزحه) عنها ويدخل الجنة. [4]

نلاحظ من خلال الآية المذكورة والشرح أن هناك كلمات ذات جرس ثقيل تتناسب مع سياق الفزع بحيث يمكن القول ان اللفظ المناسب مع السياق المناسب وهذا يدل على إعجاز القرآن الكريم .

(1) سورة التوبة، الآية: 38.

(2) ينظر: سناء حميد البياتي، **التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية**، مركز إحياء التراث العلمي العربي، العراق، (د. ط)، 2007م، ص12

(3) سورة آل عمران، الآية: 185.

(4) ينظر: سناء حميد البياتي، **التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية**، ص13.

وننتقل بعد هذا إلى ما ورد في أسلوب الوعيد في قوله تعالى:(أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ)[1]. في الآية الكريمة خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى التوبيخ والاستهزاء بالمشركين لعبادتهم الأصنام، فيكون المعنى: "أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي اليوم، مالهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم ما أنا محل بكم من العذاب.

الملاحظ أن خطابهم مصحوب بنغمة تهديد شديدة وعالية مع هبوط تدريجي، لتكون عند الاستهزاء نغمة كلامية هابطة. [2]

ومن هنا نستنتج أن النغمة في القرآن الكريم عند تغيرها سواء من الصعود إلى الهبوط أو العكس فحتما هناك تغير من معنى إلى معنى مختلف، ويمكن أن نقول أن المعنى المراد يدفع إلى تغير في النغمة.

ولنلاحظ قوله تعالى في سورة النجم: أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾)[3]، الإيقاع في السورة متوسط الزمن تماشيا مع توسط الجملة الموسيقية، ويتضح ذلك في الآية. فلو قيلت في غير القرآن دون كلمة (الأخرى)، لاختلت القافية، ولتأثر الإيقاع وكذلك نتطرق إلى قوله تعالى: (أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾)[4]. فلو حذفت (إذا) لاختل الإيقاع المستقيم وفسد.

هذا لا يعني أن كلمة (الأخرى، إذا) ذكرتا لمجرد غاية موسيقية فحسب، بل لتحقيق غاية معنوية أيضا، فاللفظة في القرآن تؤدي وظيفتها في السياق موازاة مع تأثيرها في الإيقاع الموسيقي العام.

---

(1) سورة النحل، الآية: 27.

(2) ينظر : فرهاد عزيز محيي الدين ،**التنغيم وأثره في التعبير عن المعاني النفسية**، مجلة جامعة كروك للدراسات الإنسانية، مج 10، ع 10، 2015م، ص93

(3) سورة النجم، الآيتين: 19 – 20.

(4) السورة نفسها، الآتين: 21 – 22.

ولتعليق على إيقاع هذه الأخيرة نكتفي بما قاله "سيد قطب": فالسورة ذات إيقاع موسيقي خاص، يتجلى فيه التموج والانسياب، وبخاصة في المقطعين الأول والأخير، فهو يتناسق بتموجه وانسيابه مع الصور والظلال اللطيفة في المقطع الأول ،ومع المعاني واللمسات العلوية في المقطع الأخير.[1]

خلال بحثنا والجدير بالذكر وجدنا أن الإيقاع القرآني متميز، على لحن المجون.

ولتوضيح ذلك نأتي بما قاله الدكتور أسامة شكري: "لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن، لكن هذا التغني محكوم بقواعد لغوية، ومعايير أصولية تنأى بالقرآن جانبا عن الإنشاد الرهباني وغناء أهل الفسق والفجور والكتابيين".[2]

لدراسة شيوع بعض أنواع المقاطع دون غيرها في السياقات المختلفة نستحظر دراسة أقيمت على بعض الآيات من سورة المدثر، حيث قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧)[3].[4]

نجد أن مقاطع الآيات الكريمة كانت كالتالي:

(1) ينظر: محمد الصغير ميسة، **جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم**، رسالة درجة الماجستير، علوم اللسان العربي، جامعة بسكرة، 2012م، ص58.

(2) أسامة شكري الجميل العدوي، **الإيقاع القرآني أثره الفني وإعجازه البلاغي**، دكتوراه البلاغة والنقد، 2013م، ص1447.

(3) سورة المدثر، الآيات: 1 – 7.

(4) ينظر: عبد الله محمد ياسين الشمايلة، **الإيقاع في القرآن الكريم السور المكية**، رسالة درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1999م، ص83.

الجدول رقم (01): يوضح المقاطع الصوتية ونوعها في سورة المدثر

الرقم	المقطع الصوتي	نوع المقطع كتابة	نوع المقطع رمزا
1	يا	مقطع طول مفتوح	ص ع ع
2	أَيْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
3	بُ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
4	هَلْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
5	مُ دْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
6	دَ ثْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
7	ثِ رْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
8	قُمْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
9	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
10	أَنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
11	ذِ رْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
12	وَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
13	رَبْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
14	بَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
15	كَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
16	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
17	كَبْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص

18	بِرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
19	وَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
20	ثِ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
21	يا	مقطع قصير مفتوح	ص ع ع
22	بَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
23	كَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
24	فَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
25	طَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
26	هِرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
27	وَرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
28	رُجْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
29	زَ	مقطع قصير مفتوح	ص ع
30	فَهْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
31	جُرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
32	وَ	مقطع طويل مفتوح	ص ع
33	لا	مقطع طويل مفتوح	ص ع ع
34	تَ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
35	نُنْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
36	تَ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص

37	تَ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
38	ثِرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
39	وَ	مقطع طويل مفتوح	ص ع
40	لِ	مقطع طويل مفتوح	ص ع
41	رَبْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
42	بِ	مقطع طويل مفتوح	ص ع
43	كَ	مقطع طويل مفتوح	ص ع
44	فَصْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص
45	بِرْ	مقطع قصير مغلق	ص ع ص

ومن خلال الجداول وما قاله صاحب الدراسة نلاحظ أن النص يحتوي على خمسة وأربعين مقطعا توزعت على ثلاثة أنواع من المقاطع وسنذكرها كالتالي:

الجدول رقم (02): نوع المقطع وعدد مرات وروده في سورة المدثر

نوع المقطع		عدد مرات الورود	النسب المئوية
قصير مفتوح	ص ع	17	%37.78
قصير مغلق	ص ع ص	25	%55.56
طويل مفتوح	ص ع ع	3	%6.66
المجموع		**45**	**%100**

مما قاله صاحب الدراسة ومن خلال التمعن في النسب نلاحظ أن النسبة العالية من نصيب المقطع القصير المغلق والتي زادت على النصف ،بينما توج المقطع القصير المفتوح في المرتبة الثانية، ولم يرد المقطع الطويل المفتوح سوى ثلاث مرات فقط أي

ثمانية بالمائة تقريبا .والملاحظ أن النص احتوى على المقاطع الأكثر انتشار في اللغة العربية وذلك تسهيلا لنطق وطلبا للخفة وسرعة الإيقاع .[1]

و سنوضح هذا الأمر من خلال شرح السورة ثم تعقيب على ذلك بالاستعانة بما قاله صاحب الدراسة.

إن النظر في النص القرآني ذاته يوحي بأن مطلع هذه السورة إلى قوله تعالى (ولربك فاصبر) ربما يكون قد نزل مبكرا في أوائل أيام الدعوة، وذلك لإعداد نفس الرسول- صلى الله عليه وسلم- لمواجهة قريش بعد ذلك بالدعوة جهارا وكافة، مما سيترتب عليه مشاق كثيرة متنوعة، تحتاج مواجهتها إلى إعداد نفسي سابق .[2]

ومن هنا نستنتج أن الأمر الذي فيه النبي عليه الصلاة والسلام يحتاج إلى سرعة وخفة في الاندماج مع الموقف وخصوصا أن القادم من الكفار لن يكون سهلا ويمكن أن اقول أن في كلمات القرآن نوعا من الجمال يجعل حتى الذي ليس متعلما يستشعر وقع الكلمات من خلال تردد الصوت حينما يسمع ذلك .

لقد ناسبت المقاطع القصيرة المغلقة (ص ع ص) سرعة الإيقاع من ناحية، وجدية الأمر من ناحية، فهي مقاطع تنتهي بصوامت (ساكنة)، لا مجال فيها لتطويل الصوت أو تحريك الصامت، كان استخدام المقاطع المغلقة يناسب لونا من التعبير يناسب سياق السورة .[3]

بصورة أوضح يمكن أن نقول أن الموقف السياقي الذي فيه النبي –صلى الله عليه وسلم –يدعو إلى الجد، والمعروف أن الأمور الجدية تحتاج إلى سرعة التصرف وهذا ما نلتمسه في إيقاع هذه الصورة.

(1) ينظر: عبد الله محمد ياسين الشمايلة، **الإيقاع في القرآن الكريم السور المكية**، ص85.

(2) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، مصر، (د. ط)، (د. ت)، ص4392.

(3) ينظر: عبد الله محمد ياسين الشمايلة، **الإيقاع في القرآن الكريم السور المكية**، ص86.

وفي ختام هذا الأمر نجد أنه الجدير بالذكر الإشارة بصورة عامة وسريعة إلى ما صدفنا خلال بحثنا في عنصر (الإيقاع)، على أمل أن يستفيد من يضع سهم بحثه على عملنا البسيط.

– يمكن وضع التكرار في مجال الإيقاع سواء من ناحية تكرار الحروف أو تكرار المفردات أو تكرار الجمل والآيات.[1]

– يتنوع الإيقاع بتنوع الموضوعات، حيث يكون النغم هادئ إن كانت الآية في التبشير، أو داعية إلى التأمل، وتكون نغمة قوية إذا كانت في إنذار أو وصف عذاب.[2]

– الأداء(النبر والتنغيم)، يتصل بجانب المعنى والفكرة، وأما الإيقاع يتصل أكثر بجانب الإحساس والعاطفة.[3]

وبعد هذا ننتقل إلى الفاصلة القرآنية، بحيث سنحاول أن نبين أهمية الفاصلة القرآنية في الأثر على النفس البشرية كما سنسلط الضوء على اهتمام هذه الأخيرة بالمعنى في الدرجة الأولى.

2. الفاصلة القرآنية:

الفاصلة بالمفهوم البسيط هي آخر كلمة في الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وسميت الفاصلة لأن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها.[4]

والأمر الذي يستحق أن نقف عنده هو ما يؤكده تمام حسان حيث يقول:

"أن القرآن الكريم لا يفعل ذلك على حساب المعنى البتة فإن المعنى هو المطلوب أولا فيأتي بالفاصلة منسجمة مع أخواتها عند اقتضاء المعنى لذلك ،فإن اقتضى المعنى

(1) ينظر: أسامة شكري الجميل العدوي، **الإيقاع القرآني أثره الفني وإعجازه البلاغي**، ص1472– 1489.

(2) ينظر: المهدي إبراهيم الغويل، **جماليات البنية الإيقاعية في القرآن الكريم – دراسة في الجزء الأخير من سورة مريم**– ، الجامعة الأسمرية، ع 21، (د. ت)، ص170.

(3) ينظر: نصر سعيد عبد المقصود حسن، **النبر وأثره في القرآن الكريم**، قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها، ع11، (د. ت)، ص1174.

(4) ينظر: كمال الدين عبد الغني المرسي، **فواصل الآيات القرآنية**، ص9–12.

غير ذلك لم يرع الفاصلة ولم يحسب لها حسابا وإنما تكون المراعاة للمعنى أولا ،لذلك قد يأتي بفاصلة لا تشبهها فاصلة في جميع السورة وغن كثرت آياتها".[1]

ومما سبق ذكره نخلص إلى أن الفاصلة القرآنية تتبع المعنى بدرجة الأولى ونجدها تتغير في الكثير من الآيات من أجل المعنى، وبعد هذا نتطرق في طرح نماذج من القرآن الكريم حتى نستنبط جمالية وبلاغة الفاصلة القرآنية والتي تعتبر ميزة في إعجاز القرآن.

قال تعالى:(إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣)[2].

نلاحظ الفواصل مع جمال النغم الظاهر من تسكين حرف الراء عند القراءة، ونلاحظ كذلك ملائمة الكلمات لأغراض السورة.

فكلمة الكوثر قد قيل إن معناها الخير الكثير، وقيل إن الكوثر نهر من أنهار الجنة، ثم فعل الأمر (صل) الذي يجمع كل مظاهر العبادة وكلمة (لربك) حيث اللام للإلصاق والاختصاص و(رب) التي تدل على الربوبية وأنه صاحب النعم والخيرات الكثيرة والدنيا والآخرة ،مع إضافة كاف الخطاب وما فيها من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وفعل الأمر (انحر) حيث لا يكون النحر إلا للإبل وهو بمزلة الذبح في البقر والغنم وفي هذا أداء حق الشكر الواجب للمنعم .

نلاحظ أن كل كلمة في القرآن قد تحمل العديد من الدلالات إلا أنها تشترك في معنى يوافق السياق المذكور حتى أننا وجدنا حتى الحروف التي تلتصق بالكلمات تزيدها ثقلا في المعنى فترفع مقام أقواما وتعزهم وتذل أقوام وتدحرهم.

(1) فاضل صالح السامرائي، **من أسرار البيان القرآني**، دار الفكر ناشرون وموزعون، القاهرة – مصر، ط1، 2009م، ص163.

(2) سورة الكوثر، الآيات: 1 – 3.

ثم ملائمة ما بين شائنك والأبتر وهي أيضا مما يحتمل التأويل، وأنزل الله هذه السورة لبيان أن العاص بن وائل هو الأبتر المطرود من رحمة الله وإن كان له أولاد .بل إن المعنى يمتد ليشمل كل من يبغض الرسول صلى الله عليه وسلم .[1]

ولتسليط الضوء في الجانب البلاغي لهذه السورة وجدنا أن ما ذكره الصابوني في تفسيره يستحق الكتابة هنا، ونوجز ذلك فيما يلي:

1- صيغة الجمع الدالة على التعظيم (إنا أعطيناك) ولم يقل: أنا أعطيتك.
2- تصدير الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم (إنا)لأن أصلها إن ونحن.
3- صيغة الماضي المفيدة للوقوع (أعطيناك) ولم يقل: سنعطيك لأن الوعد لما كان محققا عبر عنه بالماضي مبالغة كأنه حدث ووقع.
4- المبالغة في لفظة الكوثر.
5-الإضافة لتكريم والتشريف (فصل لربك).
6- إفادة الحصر (إن شانئك هو الأبتر).
7- المطابقة بين أول السورة وآخرها بين (الكوثر والأبتر) فالكوثر الخير الكثير، والأبتر المنقطع عن كل خير.

في حقيقة الأمر فهذه السورة على وجازتها جمعت فنون البلاغة والبيان فسبحان منزل القرآن.[2]

نلاحظ أنه يمكن لسورة الواحدة أن تجمع أنواع من السياقات مما يخولها إلى حمل فنون شتى من سحر البلاغة والبيان، كما يجدر الإشارة إلى أن القرآن يشترك في الأمر بالمعروف والنهي عن الباطل حيث أنه لا يوجد اعتراض واختلاف حتى في سورة الواحدة مثلا أن نجد تناقض في بداية السورة ونهايتها أو نجد سورة تحرم أمر في موضع وتحلله في موضع مشابه له ووحدانية هدف القرآن تجعله مرسوم يوثق وحدانية الله وقد يكون هذا أفضل ما خلصنا إليه خلال انتقلنا في هذا البحث.

---

(1) ينظر: كمال الدين عبد الغني المرسي، **فواصل الآيات القرآنية**، ص54.

(2) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط 4، 1981م، مج 3، ص 612.

وفي ختام الأمر نتطرق إلى بعض أسرار الإعجاز في الفواصل القرآنية والتي سنأخذها حسب مطالعتنا لكتاب (فواصل الآيات القرآنية).

3. تناسب الفواصل:

يخبرنا الكتاب في كل فاصلة من فواصل الآيات أنه دائما يختم الكلام بما يتناسب مع أوله في المعنى مثل قوله تعالى:(لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣)[1]، فقد ختمت الآية بما يناسب أولها ،إذ(اللطيف) يلائم (لا تدركه) الأبصار، و (الخبير) يلائم (وهو يدرك الأبصار)، لأنّ من يدرك الشيء يكون خبيرا به .

ومنه قوله تعالى:(لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦٤)[2]، فإن الذي يملك ما في السموات وما في الأرض يكون غنيا عن كل ما عداه ،ولما كان ما في السموات وما في الأرض مخلوقا لمنفعة العباد ،كان الخالق المنعم مستحقا الحمد من النعم عليهم .[3]

نلاحظ من الآية أن البداية التي توحي بعظمة الخالق وأن كل ما في السموات والأرض بيد الله يتناسق و لا يتعارض مع نهاية الآية التي تخبرنا أن الله هو الغني وصاحب السلطان.

4. **تكرار الفواصل في بعض السور :**

نحو قوله تعالى:(فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) **من** (سورة الرحمن)

وقد كررت **{فبأي آلاء}** لأن الله عدد في السورة نعماءه وذكر عباده آلاءه ،ونبههم على قدرها، وقدرته عليها، ولطفه فيها وجعلها فاصلة بين كل نعمة، ليعرف موضع ما

(1) سورة الأنعام، الآية: 103.

(2) سورة البقرة، الآية: 64.

(3) ينظر : كمال الدين عبد الغني المرسي، **فواصل الآيات القرآنية**، ص70.

أسداه إليهم، فإن تعديد الآلاء من الرحمن تبكيت لمن أنكرها، كما يبكت من ينكر أيادي الناس عليه، بتعديد النعم له .

ولا شك أن هذه الفاصلة من سورة الرحمن قد زادت روعة التلاوة حيث تستثير مشاعر السامعين وترديد هذه الفاصلة مع القراءة في خشية غامرة وخشوع عميق.[1]

ولقد وقفنا على ما ذكرنا بصورة بسيطة إلا أن القرآن الكريم كله معجز سواء من آية أو كلمة أو حرف ومن أراد أن يستشعر عظمة الإيقاع في القرآن الكريم عليه بسماع الشيوخ الكبار وهم ملتحمون مع معنى ومبنى الآية حد الخشوع وذرف الدموع.

(1) ينظر : كمال الدين عبد الغني المرسي، **فواصل الآيات القرآنية**، ص74-77

خلاصة الفصل:

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأنّ للسورة الواحدة يمكن أن تجمع أنواع من السياقات مما يخولها إلى حمل فنون شتى من سحر البلاغة والبيان، كما يجدر الإشارة إلى أن القرآن يشترك في الأمر بالمعروف والنهي عن الباطل حيث أنه لا يوجد اعتراض واختلاف حتى في السورة الواحدة مثلا أن نجد تناقض في بداية السورة ونهايتها أو نجد سورة تحرم أمر في موضع وتحلله في موضع مشابه له ووحدانية هدف القرآن تجعله مرسوم يوثق وحدانية الله وقد يكون هذا أفضل ما خلصنا إليه خلال انتقالنا في هذا البحث.

الــفصل الثانـي

أنماط السياق الخارجي ودوره في تحديد المعنى في القرآن الكريم

تمهيد.

أولا: السياق الاجتماعي.

1. دلالة السياق في مشهد قتل الأبناء.
2. دلالة السياق في مشهد الوصية.
3. دلالة السياق في مشهد الألفة والتعارف.
4. دلالة السياق في مشهد المؤاخاة والتعاون.

ثانيا: سياق الحال.

1. نماذج قرآنية في سياق الحال.

ثالثا: السياق التاريخي.

1. السياق التاريخي الخاص.
2. السياق التاريخي العام.

خلاصة الفصل.

تمهيد:

من خلال خوض غمار البحث وجدنا أن أنماط السياق الخارجي عديدة ،إلا أننا سنتناول في هذا الفصل بعض الأنماط بما يتطلبه البحث، والتي تمثلت في السياق الاجتماعي بحيث سنتطرق فيه لإبراز أهم العلاقات الاجتماعية الموجودة في القرآن الكريم، وبعدها نسلط الضوء على سياق الحال الذي له مسميات عديدة أهمها سياق المقام وسياق الموقف والذي سنتطرق في مجمله إلى نماذج من القرآن الكريم لنوضح صورة هذا الأخير، ثم نذهب في رحلة تاريخية نذكر فيها السياق التاريخي، وما يتضمنه من أهمية حيث سنركز غالبا على بعض القصص القرآنية.

أولا: السياق الاجتماعي

سنقدم مفهوما بسيط لسياق الاجتماعي، حيث وجدنا أنه بمعنى فهم اللغة من خلال عادات المجتمع وتقاليده وهو محاولة فهم الظروف التي راعاها القرآن الكريم عندما خاطب قوما عكفوا على عبادة الأصنام والأوثان، إذ أنزل القرآن بلغتهم ولسانهم ليفهموه وليتدبروا آياته. [1]

نرى من خلال هذا التعريف أن السياق الاجتماعي يرتكز جوهره على دراسة العادات والتقاليد في زمن الجهل والشرك، حيث يركز هذا الأخير على بلاغة القرآن في مخاطبة وإرساء معالم العدل من أجل مجتمع متماسك بالقيم الفاضلة وبعد هذا نتطرق إلى نماذج من القرآن الكريم لدلالة السياق في عدة محطات اجتماعية.

1. دلالة السياق في مشهد قتل الأبناء:

قال الله تعالى:(وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ)[2].

عند الذهاب إلى شرح هذه الآية نجد أن الله تعالى يخبرنا، "إنه هو الذي يكفل لهم الرزق فلا يضيقوا بالتبعات تجاه الوالدين ،ولاتجاه الأولاد في ضعفهم، ولا يخافوا الفقر والحاجة فالله يرزقهم جميعا ".[3]

استوقفتني هنا آية تذكرتها وتدل أنه يجب على الإنسان ألاّ يتبع طريق الشيطان وأن الرزق بيد الله لأن الشيطان عدو يدعو إلى الفقر والظلال.

---

(1) ينظر: حبيبة زغلامي، **السياق الاجتماعي وأهميته في فهم النص القرآني وتوجيه دلالته**، مجلة الموروث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع 2، ديسمبر 2021م، ص126.

(2) سورة الأنعام، الآية: 151.

(3) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص1455.

وذلك لقوله تعالى(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ حَلَـٰلاً طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَـٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾)[1]، ولقوله تعالى:(ٱلشَّيۡطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلاًۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾)[2].

وفي تفسير الصابوني وجدنا "(ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) أي: ولا تقتلوا أولادكم خشية الفقر قال ابن الجوزي: المراد دفن البنات أحياء من خوف الفقر .{نحن نرزقكم وإياهم } أي رزقكم ورزقهم علينا فإن الله هو الرازق للعباد".[3]

كما أسلفنا الذكر ونؤكد أن الله سبحانه وتعالى له الملك وهو الغني الحميد يخبرنا أنه هو الرزاق وأن نخشى الله لا الفقر استنادا لقوله تعالى:(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾)[4].

وفي النفس السياق الأبناء قال الله تعالى:(وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَـٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَـٰقٍۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾)[5]، "فظاهر هذه الآية يدل على النهي عن قتل الأولاد، لكن سياق حالها يحدثنا عن عادة جاهلية كان العرب قبل الإسلام يفعلونها وهي وأد البنات ".[6]

---

(1) سورة البقرة، الآية: 168.

(2) السورة نفسها، الآية: 268.

(3) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج1، ص42.

(4) سورة الذاريات، الآية: 58.

(5) سورة الإسراء، الآية : 31.

(6)حبيبة زغلامي، **السياق الاجتماعي وأهميته في فهم النص القرآني وتوجيه دلالته**، ص128.

ويمكن أن أعقب هنا بالمختصر أن العرب قديما كانت تعتز بالولد على الأنثى لأنّه كان يحمل اسم ابيه وهذا كان ظلما عظيم في حق الأنثى .ورفض الاسلام قتل النفس ظلما استنادا لقوله تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾)[1].

ولقوله تعالى:(مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا)[2].

من هنا نخلص أن الإسلام يقدس النفس البشرية وأنه لا يحق سلبها بغير حق أو خوف من فقر وأن الأنثى لها الحق في الحياة كما الذكر ،ولنعقب هنا أيضا على أمر مهم وهو أن المرأة اعزها الإسلام ولا عزة لها إن خالفت قواعد كتاب الله .

2. دلالة السياق في مشهد الوصية:

لقد تطرق القرآن الكريم للوصية لما لها من حفظ للحقوق والأمانات وصيانة المجتمع من التفرقة وسنجد ذلك خلال تتبعنا الآيات الذي ذكر فيها هذا الموضوع مع أن العرب كان لها من أمور الوصية إلا أن الجدير بالذكر أن المجال عندهم كان قاصر وبعد هذا نلاحظ قول الله تعالى:(كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾)[3].

(1) سورة الإسراء، الآية : 31.

(2) سورة المائدة، الآية: 32.

(3) سورة البقرة، الآية: 180.

في تفسير الصابوني لهذه الآية وجدنا أنه،" إذا أشرف أحدكم على الموت وقد ترك مالا كثيرا، وجب عليه الإيصاء للوالدين والأقربين بحيث عليه أن يكون الأمر قائما على العدل وذلك بأن لا يزيد على الثلث وألا يوصي للأغنياء ويترك الفقراء".[1]

على حسب ما نلاحظ من هذا التفسير أنه يقوم على أمر العدل وإحلال السلام بين أفراد الأسرة الواحدة والأقربين، وذلك عند مفارقة الراعي للحياة دون وضع وصية ،فقد يحدث اختلاف وتشتت بسبب الأموال والخيرات المتروكة، والإسلام يدعو إلى الرابطة وعدم التفكك بسبب أمور زائلة.

والجدير بالذكر الدرس الذي استخلصه السيد قطب من هذه الآية حيث قال: "يتضمن هذا الدرس جانبا من التنظيمات الاجتماعية للمجتمع المسلم الذي كان ينشأ في المدينة نشأته الأولى، كما يتضمن جانبا من العبادات المفروضة، هذه وتلك مجموعة متجاورة في قطاع واحد من قطاعات الصورة ،وهذه وتلك مشدودة برباط واحد إلى تقوى الله وخشيته".[2]

نخلص من هذا الدرس أن من التقوى هو اتباع أوامر الله حتى وإن غفلنا على الغاية المرجوة من ذلك لأن الله يحب عباده ولتأكيد ذلك اذكر ما قاله الله تعالى:(بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦)[3].

أما السياق الاجتماعي الذي نزلت فيه هذه الآية هو: أن من عادت العرب في الجاهلية إن كان له ولد أو عدة ذكور استأثروا بماله كله وإن لم يكن له ولد ذكر استأثر بماله أقرب الذكور ولما جاء الإسلام أضاف بعض القرابة المهملة في الجاهلية من بنات

(1) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج (1)، ص119.

(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص186.

(3) سورة آل عمران، الآية: 76.

وأخوات، القرآن الكريم راعى هذا السياق الاجتماعي من خلال نهيه عن العادات السيئة.[1]

3. دلالة السياق في مشهد الألفة والتعارف:

قال الله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣)[2].

في تفسير هذه الآية وجدنا أن المناسبة فيها تكمن عندما، لما دعا الله تعالى إلى مكارم الأخلاق ونهى عن غير ذلك حيث يذكر جميعا بالتعارف والتألف ونهاهم عن التفاخر بالأنساب التي كانت أيام الجاهلية ،ثم بين أن الصفة الأساسية والميزة المهمة هي التقوى حيث أن الخطاب موجه لكافة البشر وتؤكد الآية أن الجميع خلق من أصل واحد بقدرة الله الواحد، كلكم لأدم وآدم من تراب، كما أن الآية تبين انه جعلناكم شعوبا شتى وقبائل متعددة، ليحصل بينكم التعارف والتآلف، لا التناحر والتخالف والحكمة تكمن في تفاضل الناس بالتقوى لا بالأحساب والأنساب، فمن أراد شرفا في الدنيا ومنزلة في الآخرة فليتق الله فعسى أن يكون له ذلك.[3]

الأمر هنا وعلى حسب التفسير نجد أن القرآن الكريم يدعوا إلى التحلي بصفة الحسنة والابتعاد كليا عن مراسم التفاخر والتعالي بالأنساب، لأنه الطريق نحو الشر وإن اراد المثول في الطريق الخير فعليه بالزاد التقوى .

ومن وجهة تفسير مختلف "جاء قوله تعالى في الآية السابقة، ليصحح هذه المفاهيم الخاطئة، التي دخلت على الناس من مظاهر التفاوت المادي والعقلي بين جماعتهم،

(1) ينظر: حبيبة زغلامي، **السياق الاجتماعي وأهميته في فهم النص القرآني وتوجيه دلالته**، ص128.

(2) سورة الحجرات، الآية: 13.

(3) ينظر: محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج3، ص 236-237.

وليقيم المفهوم الصحيح الذي هو ميزات التفاضل بين الناس ،بحيث إن كان ثمة تفاضل، وهو التقوى ،فمن كان عند الله أتقى، كان عند الله تعالى، وينبغي أن يكون كذلك عند الناس أفضل وأكرم".[1]

الجدير بالذكر في هذا التفسير أن القرآن الكريم ينهى عن التفرقة ويدعوا إلى الألفة وأنّ ميزان التفاضل ليس التفاخر بالأنساب وإنما هو التقوى.

4. دلالة السياق في مشهد المؤاخاة والتعاون:

قال الله تعالى:(إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠)[2].

"ففي هذه الآية استكمال للأدب الذي تحكم به الروابط التي ينبغي أن تقوم بين أفراد المجتمع الإسلامي، وفيها دستور من الأخلاق والأدب والسياسة، فيما بين المسلمين أنفسهم".[3]

نلاحظ هنا ان القرآن الكريم جاء ليعزز العلاقات بين المؤمنين ،حيث في هذه الآية ركز على أمرين وهما الإصلاح والتقوى ,ونحن نقول أن هناك ترتيب وبلاغة بينهما بحيث أن الإصلاح طريق لتقوى.

في حقيقة الأمر لو كان هناك اقتتال بين طائفتين ،فحتما هذا سيقضي إلى أن يعم الفساد ويلحق المؤمن الضرر، والإسلام وبدوره يهدف إلى نشر السلام ودفع الضرر ،وأم بالنسبة لأمر التقوى فذلك يدفع إلى ما يصونهم عن التشاجر، لأن من اتقى الله شغله

(1) محمود عبد الستار وسرمد فؤاد شفيق، **الإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم**، ص158

(2) سورة الحجرات، الآية: 10.

(3) محمود عبد الستار وسرمد فؤاد شفيق، **المرجع السابق**، ص160.

تقواه إلى أمور أخرى ،فالمخاطب بذلك جميع المؤمنين، فيشمل الطائفتين الباغية والمبغى عليها، ويشمل غيرهما ممن أمرو بالإصلاح. [1]

يمكن أن نخلص مما سبق، أن الإسلام جاء ليجمع قلوب المؤمنين على أن يكون المؤمن هو الأخر طريقا لصلح وكذلك أن يشغل باله ويزين حاله بالتقوى .

وفي هذا المقام وجدنا أنه تجدر الإشارة إلى دلالة (إنما) الموجودة في الآية بحيث "قال المفسرون :(إنما)للحصر فكأنه يقول: لا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا أخوة بين مؤمن وكافر، وفي الآية إشارة إلى أن أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب".[2]

ونستنتج من التفسير أن ميثاق الأخوة الحقيقية يكون بين القلوب المؤمنة، حيث يستحيل أن تكون بين مؤمن وكافر، وأن الأقوى والأصلح هي أخوة الإسلام .

وبعد هذا نتطرق إلى نموذج من القرآن الكريم، نستقي منه مبدأ التعاون حيث قال الله تعالى:(.....وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢)[3].

من تفسير هذه الآية حسب سيد قطب ،فإن الله عزّ وجل، "يأمر بالتعاون على الخيرات والابتعاد نهائيا عن التعاون في المنكرات". [4]

وفي سياق هذه الآية تذكرت موقفين احدهما في التعاون على الخير والاخر في التعاون على الشر، ومن هنا في جانب التعاون على الخير نجد قوله تعالى:(قَالَ سَنَشُدُّ

(1) ينظر: محمود عبد الستار وسرمد فؤاد شفيق، **الإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم**، ص161.

(2) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج 3، ص235.

(3) سورة المائدة، الآية: 02.

(4) محمد علي الصابوني، **المرجع السابق**، مج 1، ص327.

عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾)[1].

في هذه الآية استجابة من الله لطلب موسى عليه السلام بأن يبعث معه أخاه هارون، لقوله تعالى:(وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾)[2]. فإذ موسى وهارون في مواجهة فرعون بآيات من الله.[3]

نخلص هنا إلى أن الله كان في عون موسى على الحق وكذلك عون هارون عليه السلام في مواجهة فرعون وهذه رسالة من القرآن الكريم أن على الإخوة معاونة بعضهم في أمور الخير، وكذلك هناك مثال أخرفي طلب العون لما طلب ذو القرنين المساعدة في بناء السد على من افسد في الأرض (يأجوج ومأجوج).

ونؤكد ذلك بقوله تعالى:(قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾)[4].

(1) سورة القصص، الآية: 35.

(2) السورة نفسها، الآية: 34.

(3) ينظر: سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص3132.

(4) سورة الكهف، الآيتين: 94 – 95.

وأمّا بالنسبة لموقف التعاون في الشر فنذكر مثالا على سبيل الذكر لا الحصر في قوله تعالى(فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥)[1].

"فعلتهم هذه كانت نتاج تراكم الأحقاد والغيرة من حب أبيهم ليوسف عليه السلام وهذا الكره تضخم حتى حجب عن ضمائرهم هو الجريمة الشنعاء، وكان التعاون على الشر طريقا لإبعاده من طريقهم".[2]

تصور هذه الآية معنى لمعاونة النفس عن الشر وتكاتف الإخوة في ذلك.

ثانيا: سياق الحال

في حقيقة الأمر يمكن أن نقول أن هذا السياق يعتبر من أهم السياقات الخارجية، لأنّه وبعد بحثنا وجدنا أنه من الصعب فهم الكثير من الآيات القرآنية بمعزل عن سياق الحال أو ما يسمى سياق الموقف وسنحاول تقديم صورة عامة لتوضيح مفهوم هذا الأخير.

يتمثل سياق الحال في كونه جملة من العناصر المكونة للموقف الكلامي، بحيث أن هذه العناصر تدخل فيها شخصية المتكلم والسامع ومن ثم العوامل والظواهر الاجتماعية حتى نصل بعدها إلى أثر النص الكلامي في المشتركين.[3]

---

(1) سورة يوسف، الآية: 15.

(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص2270.

(3) ينظر: محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، (د. ط)، (د. ت)، ص311.

وهكذا يتضح من هذا المفهوم أن سياق الحال يعتمد على إبراز العلاقة بين المتكلم والسامع في مقام معين، كما يمكن استخلاص عناصر سياق الحال والتي تتمثل في شخصية المتكلم و العوامل الاجتماعية وأثر النص في ذلك.

وبعد هذا نتطرق إلى نماذج من القرآن الكريم لنقف عند مواضع تبين لنا أهمية سياق الحال والبلاغة في اختيار اللفظ المناسب مع الموقف بحيث لا يفهم الأول إلا بالرجوع إلى الأمر الثاني.

1. نماذج قرآنية في سياق الحال :

قال الله تعالى: (وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾)[1].

"ومشهد قدوم الليل، والنور يختفي والظلمة تغشى مشهد مكرور يراه الناس في كل بقعة في خلال أربع وعشرين ساعة ،وهو مع تكراره اليومي عجيبة تدعو إلى التأمل والتفكير و يا ليت الإنسان بذلك يتدبر ويفهم أن لهذا الكون خالق واحد". [2]

ومن هنا نستنبط أنه على الإنسان أن يجدد التأمل في آيات الله، وما يزيده ذلك إلى إيمان بأن خالق هذا الكون البديع هو الله وحده لا شريك له في الملك .

عبرت هذه الآيات عن عجيب صنع الله ودقة تدبيره ،لتشكل مضامينها سياق حال اندرج ضمنه هذا التركيب فجاء منسجما مع هذه تراكيب اللغوية، وكما أشار صاحب

(1) سورة ياسين، الآيات: 37 – 40.

(2) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص 3458.

الرسالة أن دلالته متساوقة معها ،حيث الملاحظ أنه قد تصدرت هذه الآيات الكريمة كلمة (وآية) لتعلن عنوان السياق اللغوي اللاحق لها والذي هو صورة لسياق الحال، فالقرآن الكريم في هذا الموضع فتح افق نحو تأمل والتدبر، وسياق الحال في هذا الموقف يدفع المتلقي لفعل ذلك ،ليعي بعد ذلك قدرة خالق هذا الكون.[1]

معقبا على هذا القول، نجد أنه بالضرورة على الإنسان أن يكون واسع الأفق في التأمل في آيات الله حتى يتسنى له استشعار جمالية وإبداع الخالق في هذا الكون المتناسق.

وقال الله تعالى في موضع آخر:(وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢)[2].

"وإننا بعد ألاف السنين ،لنمسك أنفاسنا – ونحن نتبع السياق – والهول يأخذنا كأننا نشهد المشهد ، وهي تجري بهم في موج كالجبال ، ونوح الوالد الملهوف يبعث بالنداء تلو النداء ،وابنه الفتى المغرور يأبى إجابة الدعاء، والموجة الغامرة تحسم الموقف في سرعة خاطفة راجفة وينتهي كل شيء".[3]

الذي لاشك فيه أن الامر في هذه الآية يتحدث عن موقف في زمن نوح عليه السلام وبلاغة القرآن تحمل الكثير حيث خلصنا إلى أن هذه الآية تصور، نوعين من الأمواج أولها موج الطوفان وثانيها موج الفزع والرهبة الذي كان بين الوالد وولده.

(1) ينظر: أكرم علي معلا، **أثر السياق في بلاغة التركيب البياني في القرآن الكريم**، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة البعث، سوريا، 2015م، ص 336.

(2) سورة هود، الآية: 42.

(3) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص2179.

البيان القرآني ربط بين هذين النسقين التصوريين، جامعا بين الصفات الدلالية المشتركة بين الطرفين، ومسقط على المشبه صفات الجبال حيث تتناسب مع سياق الحال، ولابد للمتلقي من الاستعانة بمعطيات السياق العام حتى يتلمس فاعلية هذا التركيب التشبيهي في إنتاج المعنى.[1]

ومن خلال هذا الشرح نتوصل إلى أن اختيار اللفظ مع الموقف كان مناسب، ومن يريد أن يصل إلى المعنى المشترك بين التشبيهات، فعليه بالضرورة أن يكون على علم بالسياق الحال.

وبعد هذا نتطرق إلى آيات متشابهة في اللفظ لكنها تختلف في المقام حيث قال الله تعالى:(وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١)[2].

"إن الخوف والأمن يتعاقبان سريعا على هذه النفس، وتعاورانها في مراحل حياتها جميعا، إنه جو هذه الحياة من بدئها إلى نهايتها، وإن هذا الانفعال الدائم المقصود في تلك النفس، مقدر في هذه الحياة لأنه الصفحة المقابلة لتبلد بني إسرائيل ،ومرودهم على الاستكانة ذلك الأمد الطويل".[3]

على حسب ما نرى أن في هذه الآية بيان أن الخوف طبيعة في النفس، لكن عندما يغمدك الله بفضله ويسقيك الأمان فحتما سينجلي ذلك الخوف.

(1) ينظر: أكرم علي معلا، ، **أثر السياق في بلاغة التركيب البياني في القرآن الكريم**، ص 339.

(2) سورة القصص، الآية: 31.

(3) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ص3130.

وقوله تعالى:(وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡۖ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠)[1].

قبل أن أتطرق في تفسير هذه الآية الجدير بالذكر أن كتاب **(في ظلال القرآن)** لسيد قطب لا يحتوي على شرح سورة النمل مع انها موجودة في الفهرس، وهذا من باب نقد هذا الكتاب .

في معنى هذه الآية "فأنت رسولي ورسلي الذين اصطفيتهم للنبوة لا يخافون غيري".[2]

في سياق الموقف والخوف المتراكم يذكر الله عبده موسى عليه السلام أن لا يخاف وعليه أن يخاف الله فقط.

"ففي القصص ذكر لفظة (أقبل) ولم يذكرها في النمل، لأن المقام في النمل مقام إيجاز لا مقام تفضيل كما في القصص، وكذا شيوع جو الخوف في القصص يدل على إيغال موسى في الهرب فدعاه إلى الإقبال وعدم الهرب. أضف إلى أنه قال في النمل (إني لا يخاف لدي المرسلون)؛ لأن المقام مقام تكريم وتشريف".[3]

ومن هنا يمكن أن نخلص إلى أن المقام له أثر بالغ الأهمية في تغير اللفظ، وأن المقام يفرض نفسه في انتقاء اللفظ المناسب لحال معين.

(1) سورة النمل، الآية: 10.

(2) محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج 2، ص 402.

(3) خليل خلف بشير العامري، **السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني**، ص51.

وفي نموذج أخر قال الله تعالى(وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾)[1].

في حين قال في الأعراف:(۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾)[2].

"فاستعمل (الطور) في آيتي البقرة والنساء، واستعمل (الجبل) في آية الأعراف ،ذلك أن التهديد في آية الأعراف أشد فاستعمل لفظ (الجبل) لذلك فإن (الجبل) اسم لما طال وعظم من أوتاد الأرض، ولا يشترط في الطور ذلك، فالجبل أعظم من الطور، ولذلك يجيء في مقام الشدة والهول وبيان المقدرة العظيمة اسم (الجبل)".[3]

يمكن أن نفهم من هنا أن الجبل أعظم من كلمة الطور، لذلك استعملت كلمة جبل في موقف التهديد. ولبيان ذلك أكثر نلاحظ قول الله تعالى:(وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾)[4].

(1) سورة النساء، الآية: 154.

(2) سورة الأعراف، الآية: 171.

(3) فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، ص111.

(4) سورة الأعراف، الآية: 143.

"فانظر كيف اختار لفظ الجبال دون الأطوار في مقام التهويل والتعظيم والدلالة على القدرة التي لاتحد، فقال:(أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧)[1]. وقال:(وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ۝٣٣)[2]، وقال في القيامة:(وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣)[3]، وقال:(وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩)[4]، ففيها من الدلالة على العظم ما ليس في اسم الطور، ولذلك استعمل (نتقنا) مع (الجبل) ولم يستعمل (رفضا) لما في النتق من التهديد الشديد والتخويف ،فإن النتق أشد وأقوى من الرفع ،وذلك أن معنى النتق هو الجذب والزعزعة والاقتلاع ".[5]

بعد هذا الشرح الموجز خلصنا أن الموقف والذي بعد بحثنا عرفنا أنه يتكلم عن صفات بني إسرائيل، جعل من اللفظ يتغير بين سورة الأعراف وسورة النساء، حيث نلاحظ أنه تم استخدام لفظة (الجبل) بدل (الطور) ولفظة (نتقنا) بدل لفظة (رفعنا)، وهذا يدل على غزارة القرآن بالألفاظ وأن الاختيار في اللفظ لم يكن اختيار لتنميق أو اختيار عشوائيا وهذا يجعل دلالة الالفاظ في القرآن وبلاغتها متميزة على نصوص الأدبية الأخرى وليس هناك مقارنة أصلا بينهما.

(1) سورة النبأ، الآيتين: 6 – 7.

(2) سورة النازعات، الآيتين: 32 – 33.

(3) سورة التكوير، الآية: 3.

(4) سورة الغاشية، الآية: 19.

(5) فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، ص112.

ثالثا: السياق التاريخي

أشار القرآن الكريم إلى حقائق تاريخية منها ما يتصل بحياة العرب وذلك عندما يذكر أماكن وأخبار خارجة عن محيطهم بحيث يخاطبهم بما يفهمونه ويعهدونه وخصوصا أن العرب عرفت بالعلاقات مع العالم الخارجي.[1]

هذا يفضي بنا إلى القول أننا في التعامل مع القرآن تفسير وتأويلا واكتشاف دلالة وبلاغة الآيات خصوصا في **(السياق التاريخي)** يجب أن نتطرق ونميز بين مستويين أساسين من مستويات السياق، بحيث أننا سنتكلم هنا على أسباب النزول والمستوى الأول يكمن في مستوى النزول الكلي وما يميز هذا الأخير هو أنه سياق يشمل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، إلى الجانب الديني والفكري والثقافي، ومع المستويات الكثيرة التي يتضمنها وجدنا أنه يجدر الإشارة إلى:

1. سياق موقع شبه الجزيرة العربية على خريطة الصراع الدولي بين القوتين الرومانية والفارسية.
2. أهمية مكة بالنسبة لطريق التجارة بين الشمال (الشام) والجنوب (اليمن) رحلتا الشتاء والصيف الذي أشار لهما القرآن والذي سنذكرهما خلال بحثنا فما بعد.
3. الأحوال الدينية في شبه الجزيرة العربية وإلى أي حد تأثرت بمسيحية (الشمال) ويهودية (الجنوب) وهجرة قبائل الجنوب اليهودية إلى يثرب وفي هذا المقام يتحتم دراسة أنواع وأنماط المسيحية ،وطبيعة العلاقات القائمة بين مسيحي مكة وكنيسة الحبشة.
4. مكانة قريش الاقتصادية والدينية وطبيعة التنافس بين فرعيها الرئيسين، وهو التنافس بين بني هاشم وبني أمية والذي تطور بعد الإسلام.

(1) ينظر: خليل خلف بشير العامري، **السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني**، ص50.

5. طبيعة العلاقة بين مكة ويثرب من ناحية تجارة والدين.

المستوى الثاني هو مستوى النزول التدريجي، أي المنشأ التاريخي لبنية القرآن ،ولقد وجدنا أن (نصر حامد أبو زيد) في كتابه (الخطاب والتأويل) يشير هنا أن على الباحث إعادة قراءة المرويات والمؤلفات الخاصة ب (أسباب النزول) قراءة تاريخية تحميه من الوقوع في أسر التبريرات والتأويلات، على أساس أن ترتيب التلاوة قد ساهم إلى حد كبير في تغييب بعض المستويات الجزئية لهذا السياق.[1]

قبل الخوض في أسباب النزول والذي تعتبر عنصر مهم في السياق التاريخي يجدر الإشارة إلى أن هذا السياق **(السياق التاريخي)** يمكن أن نجعله على شقين بحيث الشق الأول خاص وهو الذي ينتمي إلى أسباب النزول ،والشق الثاني سنتكلم فيه على نماذج قرآنية من قصص تاريخية مع محاولة اكتشاف الأوجه الدلالية والبلاغية في ذلك.

1. السياق التاريخي الخاص:

"لو أردنا تفسير أية حادثة وقعت لابد من الرجوع إلى أسباب النزول لنعرف المقام الذي قبلت فيه الآية، والموقف الذي حدثت فيه، ومن هنا يمكن الوصول إلى الفهم الدلالي للآيات المتعلقة بالأحداث، وإلا يصعب تفسيرها".[2]

الجدير بالذكر هنا أن صاحب هذا التعريف يريد أن يبين لنا الأهمية البالغة لأسباب النزول لما لها دور في فهم المقام التي تتحدث عنه الآية مما يسهل فهم دلالة الألفاظ

(1) ينظر: نصر حامد أبو زيد، **الخطاب والتأويل**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط 3، 2008م، ص258 – 259.

(2) علي حميد خضير، **دلالة السياق في النص القرآني**، الأكاديمية العربية في الدانمارك، (د. ط)، 2014م، ص65.

والوصول إلى استشعار البلاغة الموجودة في تراكيب الآيات، ولأنه أيضا يصعب الولوج لتفسير إن كان هناك جهل بسبب النزول.

فمن ما لاشك فيه يشكل سبب النزول سواء كان يخص شخصا أو حادثة تاريخية أو موقفا، فهما سياقيا يدل على الحال أو الموقف ولكن يجب أن يتوفر في هذا الأخير، دقة في رواية سبب النزول، لأنه إذا كان برواية دقيقة فهو الموضح الأكبر لدلالة سياق النص، لذلك أشترط أن يكون الناقل ثقة أو يرد النص من جهات مختلفة تتفق على مفهوم دلالي موحد ،لكن أرى أن الامر الثاني بعيدا عن التحقق.[1]

قال الله تعالى: (لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤)[2].

نزلت هذه سورة في قريش وذكر ما منه الله عليهم ،حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله فضل قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطيها أحد بعدهم :إن الخلافة فيهم، وإن الحجابة فيهم وإن السقاية فيهم، وإن النبوة فيهم، ونصروا على الفيل، عبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحدا غيرهم، ونزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحد غيرهم (لإيلاف قريش).[3]

وفي تفسير هذه السورة قيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم ،لذلك في هذه السورة إرشاد ودعوة إلى شكر هذه

(1) ينظر: علي حميد خضير، **دلالة السياق في النص القرآني**، ص 66.

(2) سورة قريش، الآيات: 1 – 4.

(3) ينظر: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول**، دار الاصلاح، الدمام – المملكة العربية السعودية، ط2، 1992م، ص 465.

النعمة التي اختصت بها قريش على سائر القبائل، مع وجوب التوحيد في العبادة للخالق وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا وثنا.[1]

قد أكرم الله قريشا بنعمتين من نعمه العظيمة هما : نعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى. ولقد تضمنت هذه سورة أوجه عديدة من البلاغة وسنتطرق إلى ذلك حسب ما ذكره الصابوني في تفسيره ونوجزها فيما يلي :

1. الطباق بين (الشتاء والصيف) وبين الجوع والإطعام (أطعمهم من جوع) وبين الأمن والخوف (وآمنهم من خوف).
2. الإضافة للتكريم والتشريف (رب هذا البيت) يعني أن الله قد شرفهم بوجود البيت.
3. تقديم ماحقه التأخير (لإيلاف قريش) والأصل (ليعبدوا رب هذا البيت، لإلافهم رحلة الشتاء والصيف) وذكر أن سبب تقديم الإيلاف هو لتذكير بالنعمة الله عزّ وجل عليهم.
4. التنكير في لفظة (جوع) ولفظة (خوف) لبيان شدتهما أي جوع شديد، وخوف عظيم.

قال الإمام الفخر: اعلم أن الإنعام على قسمين: أحدهما دفع ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل، والثاني: جلب النفع وهو ما ذكره في هذه السورة، ولما دفع الله عنهم الضر، وجلب لهم النفع، وهما نعمتان عظيمتان أمرهم بالعبودية وأداء الشكر.[2]

قال الله تعالى:(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا

(1) ينظر: عماد الدين، **تفسير القرآن العظيم**، ملتقى أهل الحديث، (د. ط)، (د. ت)، ج 5، ص842-843.

(2) ينظر: محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج 3، ص 606-607.

يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١)[1].

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه ،وبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل بن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ،عن شيء ويلح عليه ، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم ود لو أنه لم يأتي في ذلك الوقت حتى يتسنى له مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته وعبس في وجه بن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الأخر لينزل الله هذه السورة وتحمل هذه السورة دلالة عميقة وهي أن على النبي أن لا يخص بالإنذار أحد بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء ثم الله تعالى يهدي من يشاء.[2]

تطرقت السورة في مضمونها إلى أوجه من البيان والبديع نذكرها بالإيجاز كالتالي:

1. الالتفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة في العتاب (عبس وتولى .. ثم قال: وما يدريك لعله يزكى) وهنا تنبيها للرسول إلى العناية بشأن الأعمى .
2. أسلوب التعجب (قتل الإنسان ما أكفره) تعجب من إفراط كفره، مع كثرة إحسان الله إليه.
3. الطباق بين (تصدى) وبين (تلهى) لأن المراد بهما تتعرض وتتشغل.
4. التفصيل بعد الإجمال (من أي شيء خلقه) ثم فصل ذلك وبينه بقوله (من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره).

(1) سورة عبس، الآيات: 1 – 11.

(1) ينظر: عماد الدين، **تفسير القرآن العظيم**، ص 701.

5. المقابلة اللطيفة بين السعداء والأشقياء (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) قابلها بقوله (ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة).

6. توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات، وهو من المحسنات البديعية ويسمى السجع مثل (عبس وتولى .أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى). [1]

قال الله تعالى:(إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾)[2].

قال أهل التفسير وأصحاب السير أن جهجاه قد ازدحم مع سنان الجهني حليف بني عوف من الخزرج على الماء ،فصرخ كل منهما طلب المعاونة، فأعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له (جعال) وكان فقيرا، واشتد لسان جعال على عبد الله فقال :إنا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني الأعز نفسه ،وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما حضر قومه كان له كلام قبيح على رسول الله وكان زيد بن

(1) ينظر: محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج3، ص 522.

(2) سورة المنافقون، الآيات: 1 – 6.

أرقم حاضرا فذهب وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وعندما ارسل رسول الله إلى عبد الله فأتاه ولكن أنكر قول ذلك وان زيدا لكاذب وفشت الملامة في الأنصار لزيد وكذبوه ،ولما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ،قال زيد بن أرقم :جلست في البيت لما بي من الهم والحياء، فأنزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديقي وتكذيب عبد الله.[1]

المحور الذي تدور عليه السورة الكريمة هو الحديث بإسهاب عن النفاق والمنافقين حتى سميت هذه السورة بهذا الاسم الفاضح ولقد تضمنت السورة الكريمة وجوها من الفصاحة والبيان نوجزها فيما يلي :

1. التأكيد بالقسم وإن واللام {والله يشهد إن المنافقين لكاذبون} زيادة في التقرير والبيان.
2. الجملة الاعتراضية {والله يعلم إنك لرسوله} جاءت معترضة بين الشرط وجوابه لبيان أنهم ما قالو ذلك عن اعتقاد، ولدفع توهم تكذيبهم في دعواهم الشهادة بالرسالة.
3. الاستعارة {اتخذوا أيمانهم جنة} فإن أصل الاجنة ما يستتر به إلا أنه استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ليعصموا دمائهم وأموالهم.
4. الطباق بين {آمنوا ثم كفروا }وبين {الأعز منها الأذل} وهو من المحسنات البديعية. والجدير بالذكر أن النفاق لم يكن في مكة وإنما كان بها كفر ولم يظهر النفاق إلا بالمدينة المنورة حين كثر أنصار الإسلام و كانوا يفعلون ذلك خوفا على دمائهم وأموالهم.[2]

(1) ينظر: أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول**، ص432-433.

(2) ينظر: محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج 3، ص 383-388.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾[1].

في أسباب نزول هذه السورة وجدنا قول عطاء "عن ابن عباس :إن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى :{وما أدري ما يفعل بي ولابكم} وقالو: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به، فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾. من (سورة الفتح :1-2)" [2]

وتحدثت السورة عن الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وهو في المدينة المنورة وحدث بها أصحابه ففرحوا واستبشروا، وهي دخول الرسول صلى الله عليه وسلم مكة آمنين مطمئنين ولقد تضمنت هذه السورة على أوجه من البيان والبديع ونذكرها بإيجاز كالتالي:

1. الطباق بين (ما تقدم وما تأخر) وبين (أشداء ورحماء).
2. المقابلة بين (ليدخل المؤمنين والمؤمنات) وبين (يعذب المنافقين والمنافقات).

(1) سورة الفتح، الآيات: 1- 5.

(2) أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول**، ص382.

3. الكناية (ولو الأدبار) كناية عن الهزيمة لأن المنهزم يدير ظهره لعدوه للهرب.
4. الالتفات من ضمير الغائب إلى الخطاب (وعدكم الله مغانم) بعد قوله تعالى: (فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) وذلك لتشريف المؤمنين في مقام الامتنان.
5. مراعاة الفواصل في نهاية الآيات وهو من المحسنات البديعية، وسميت سورة الفتح لأن الله تعالى بشر المؤمنين بالفتح المبين. (1)

2. السياق التاريخي العام:

بعدما تطرقنا إلى الشق الأول (الخاص) في السياق التاريخي والذي تحدثنا فيه عن اسباب النزول لنماذج من القرآن الكريم وتكلمنا عن بعض الأوجه البلاغية مستعينين في ذلك بتفسير (الصابوني) كما أننا لمسنا فهم أكثر للآيات بعد معرفة سبب النزول حتى أنه يمكن أن نقول أنه لا يمكن فهم الآيات بمعزل عن أسباب النزول، سننتقل هنا إلى الشق الثاني (العام) والذي سنتكلم فيه عن نماذج من قصص قرآنية.

أ. قصة آدم عليه الصلاة والسلام:

ليكون لنا إحاطة بالقصة علينا دراسة السور التي ذكرت فيها قصة آدم عليه السلام، والترتيب الذي تطرقنا له هو الأرجح كما قال العلماء وهذه سور حسب ترتيبها في النزول (ص – الأعراف – طه – بنو إسرائيل – الحجر – الكهف – البقرة).

ونحن سنتطرق إلى سورة ص ثم الأعراف وأخيرا إلى سورة البقرة لنجعل القصة في قالب محكم ونبين الاختلاف في كل من السور المذكورة.

(1) ينظر: محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج 3، ص217-219.

أما سورة (ص) فبدأت الحديث عن قصة آدم بقوله تعالى:(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾)[1].

وتحدثنا الآيات أن الملائكة سجدوا أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ،وحينما سأله الله لماذا لم يسجد ،أجاب بأنه خير من آدم لأنه خلق من نار وخلق آدم من الطين وأقسم بعزة الله أن يغويهم أجمعين إلا المخلصين من عباد الله ،وقال الله وقوله الحق بأنه سيملأ جهنم ومن أتباعه أجمعين وأما سورة الأعراف ،فلقد اختلفت بداية القصة عما جاء في سورة السابقة قال تعالى:(وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾)[2].

ويسأل:(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾)[3]، ويجيب إجابة تدل على الاستكبار وشعوره بالعلو ويقال له اهبط منها مذؤوما مدحور من الذم والطرد ثم تنتقل بنا السورة ليسكن آدم الجنة، (وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَ�ٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾)[4].

(1) سورة ص، الآيتين: 71 – 72.
(2) سورة الأعراف، الآيتين: 10 – 11.
(3) السورة نفسها، الآية: 12.
(4) السورة نفسها، الآية: 19.

والملاحظ هنا أن أمر الأكل لم يكن مثل السكن حيث لم يقل (فكل انت وزوجك)، فأمر السكنى تكون فيه المرأة تابعة للرجل ،وليس كذلك أمر الأكل، فكل واحد يأكل حين حاجته للأكل، والامر الجديد الذي ذكر هنا بخلاف سورة (ص) وهي قضية أن لا يقربا شجرة معينة، إلا أن اللعين وسوس لهما وعرف مواطن الضعف التي يأتي منها،(فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾)[1]، ويستغيثان ليغفر الله لهما ويرحمهما، (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾)[2]، وتختم القصة (قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾)[3]. وهذا الحكم لآدم وذريته وإبليس وجنده.[4]

وأمّا سورة البقرة فكان انطلاق القصة من قوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾)[5]، حيث طوي الحديث عن الخلق في هذه السورة، وركزت على قضايا جديدة وهي الخصائص التي أكرمه الله بها، لتكون فيما بعد، الرصيد الذي امتازت به ذريته، خلافته في الأرض وهذه تكرمة من الله، أما من ناحية الألفاظ فجاء في سورة الكريمة، (وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا

(1) سورة الأعراف، الآية: 20.

(2) السورة نفسها، الآية: 23.

(3) السورة نفسها، الآية: 24.

(4) ينظر: فضل حسن عباس، **قصص القرآن الكريم**، دار النفائس، الأردن، ط3، 2010م، ص103-127.

(5) سورة البقرة، الآية: 30.

رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾)[1]، كما جاء قوله:(فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾)[2].

والجدير بالذكر أن كتب المتشابه ذكرت أن السكنى في سورة البقرة تختلف عنها في سورة الأعراف، إذ قد يراد بالسكنى اتخاذ المسكن وقد يراد بها الإقامة، قالو والسكنى التي وردت في سورة الاعراف يراد منها اتخاذ المسكن، إلا أن صاحب الكتاب يرى أن التفريق بينهما أمر غير ظاهر ويذكر أن العطف بالواو يتسق مع ما فيها من زيادة تكريم لآدم.[3]

وبعد هذا نمضي إلى نموذج أخر من القصص القرآنية لنختم به السياق العام على أملا أن نكون قد أعطينا فكرة حول هذا الموضوع.

ب. قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام:

لنتبع قوله تبارك وتعالى: (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ

(1) سورة البقرة، الآية: 35.

(2) السورة نفسها، الآية: 36.

(3) ينظر: فضل حسن عباس، **قصص القرآن الكريم**، ص130-131.

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾)[1].

فما أكثر ما نسج حول هذه الآية من افتراءات منكرة ن ومنكرات سخيفة، والآية بعيدة كل البعد عن كل ما فيه شبهة شائبة تمس جانب سليمان عليه السلام، بل إن الآية صريحة كل الصراحة بأن هذه المنكرات هي مما افتراه الشياطين، شياطين الإنس قبل شياطين الجن، حيث قالوا إن السر في ملكه كان في خاتمه، وإن هذا الخاتم قد استولى عليه بعض الشياطين، حينما تصور بصورة سليمان عليه السلام وأحذه من امرأته.

والقرآن الكريم ينزه سليمان عليه السلام عن كل شبهة نقص {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ} ولقد وجدنا خلال بحثنا الكثير من التنبيهات من صاحب الكتاب (قصص القرآن الكريم) أن هناك ما يدور في قصص الأنبياء من شبهات وهو لا يصح أن ينقله المسلم والحديث عن داود وسليمان ذكر في سور أربع (ص) والنمل وسبأ والأنبياء وسنحاول الإيجاز مع إيصال المعنى والهدف المرجو إن شاء الله.

ففي سورة (ص) ذكر الله تعالى مالقيه داود عليه السلام من المشركين يقول الله تعالى:(ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾)[2]، ويبين الله بعدها ما خص به نبيه من قوة ونعم وسخر له الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق {إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير.

(1) سورة البقرة، الآية: 102.

(2) سورة ص، الآية: 17.

ثم حدثنا القرآن عن فتنة عليه الصلاة والسلام والعجيب أن هذه السورة حدثتنا عن فتنة الأب وكذلك فتنة الابن لقوله تعالى:(وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾)[1].

أمّا فتنة الأب فهي التي ذكرت في قوله عزّ وجل:(۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾)[2].

ذهب بعض الأئمة إلى تأويل الآيات، حيث قالوا:

إن سليمان عليه السلام عرضت عليه الخيل التي كان يعدها من أجل الجهاد في سبيل الله وقال أنه أحب الخيل من أجل الله والجهاد في سبيله حتى بعدت الخيل وتوارت بالحجاب فقال ردوها علي أي ردوا الخيل علي بعد أن بعدت حتى لا يكاد يراها، فلما ردوها بدأ يمسح سوقها وأعناقها.[3]

(1) سورة ص، الآية: 34.

(2) السورة نفسها، الآيات: 21 – 24.

(3) ينظر: فضل حسن عباس، **قصص القرآن الكريم**، ص648-651.

إنّ معرفة سياق السورة وتتبع سياقها التاريخي خصوصا والتي تكون على سند صحيح تجعلنا نفهم السورة بصورة أوضح بعيدة عن الغموض والشبهات التي لا تصح مع منزلة الأنبياء وسنوضح ذلك فيما يأتي:

نلاحظ قوله تعالى: (فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾)[1]، هذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى خص سليمان بنعمة الفهم في القضية الموجودة في سورة الانبياء المذكورة في قوله تعالى: (وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾)[2].

"تخاصم إلى داود رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الأخر بالليل فأفسدته فلم تبق منه شيء، فقضى بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم ،فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب فأخبراه بما حكم به أبوه فدخل عليه فقال: يا نبي الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع قال: وما هو؟ قال: يأخذ صاحب الغنم الأرض فيصلحها ويبذرها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها، فإذا خرج

(1) سورة الأنبياء، الآية: 79.

(2) السورة نفسها، الآيات: 78 – 82.

الزرع ردت الغنم إلى صاحبها والأرض إلى ربها فقال له داود: وفقت يا بني وقضى بينهما بذلك".[1]

وقصة سليمان لا تنتهي هنا إلا أننا أعطينا نموذج في ذلك حسب ما تقتضيه الدراسة.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ هناك الكثير من الآيات لا يمكن فهمها بمعزل عن سياقها التاريخي، كما أن تتبع السياق التاريخي يعطي فهم أقوى من ناحية الدلالة والبلاغة للنظم القرآني.

(1) ينظر: محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، مج 2، ص 270.

خلاصة الفصل:

وفي آخر محطتنا خلصنا إلى أن السياق الاجتماعي وسياق الحال يعتبر كل منهما مخطوطة أثرية تجعلنا نسافر إلى حقبة مختلفة دالة بحروفها العربية العريقة على العادات والتقاليد، باختلاف الزمان والمكان، كما تصور لنا موقف القرآن الكريم من خلال الاستنكار والرفض المطلق أو الإضافة التي تعالج ورم الجهل والكفر، وتقيم ميزان الحياة الاجتماعية وذلك لحكمة ربانية لصيانة الحقوق ونشر السلام بين البشر وضرب الأمثال في حال كل من سولت له نفسه أمر التمرد على طاعة الله ورسله ورسم حال العز ومقام الشرف لمن اتبع الهدى، وختاما يزينه رسخا ثابتا في فهمنا المتواضع أن هناك الكثير من الآيات القرآنية لا يمكن فهمها بمعزل عن السياق التاريخي، كما أن تتبع السياق التاريخي يعطي فهم أقوى من ناحية الدلالة والبلاغة للنظم القرآني.

خـــــاتمة

ها نحن وصلنا بعد مسيرة فصلين إلى إتمام المذكرة الموسومة بـ **فاعلية السياق في تحديد المعنى في نماذج من النظم القرآني – دراسة بلاغية دلالية** – والتي كانت ركيزتها في المقام الأول على نماذج من القرآن الكريم، ولقد سعينا وما خاب الساعي في طلب العلم على جعلها تزخر بالفائدة وتوضح أمور نحسبها مهمة ،ومع ذلك فلا نحسب أننا أقمنا صرح جديد ،فإن كان لنا من فضل فهو لا يتعدى اجتهاد في جمع شتاتها من مختلف المصادر والمراجع ،ومهما ارتشفنا من بحر البحث والمعرفة تبقى جهودنا تحمل رداء بشري لا يخلوا من العيوب والنقائص

وأهم النقاط والنتائج التي توصلنا إليها كانت كالتالي:

- يساهم السياق الداخلي بكشف الغموض وتوضيح الدلالة ضمن السياق.
- يتشكل السياق النحوي عن تضافر العلاقات من تقديم و تأخير أو حذف وذكر.
- العلامة الإعرابية لها دور مهم في توضيح الدلالة.
- الحذف يبرز أوجه بلاغية وجمال في الكثير من المواضع القرآنية.
- السياق النحوي يركز بالدرجة الأولى على معنى الجملة.
- من أسرار التقديم والتأخير في القرآن الكريم هو لبيان العظمة والأهمية.
- يهتم السياق الصرفي بالسوابق واللواحق وكل زيادة في المبنى تكون مصحوبة بزيادة في المعنى بحيث في القرآن الكريم كل تغير يناسب الموطن الذي ذكر فيه.
- التناغم الصوتي في القرآن الكريم يؤثر في النفوس ويوصل المعنى المراد
- النغم الهادئ والإيقاع العذب دلالة على الرحمة واللين وأم النغم الصاخب والإيقاع الضاغط دلالة على التحذير وهول العذاب.
- التكرار الصوتي لحرف أو كلمة أو جملة في القرآن يدل إما على تعداد نعم الله أو شعور بوقع الجحيم.
- السياق الإيقاعي يشكل بدوره انسجام الصورة مع الصوت حتى تشعر بالموقف.

- النبر يعتمد على ضغط والتنغيم يعتمد على ارتفاع الصوت وانخفاضه.
- النبر والتنغيم يتصل كل منهما بجانب المعنى وأمّا الإيقاع يتصل أكثر بجانب الإحساس.
- الفاصلة القرآنية هي التي تتبع المعنى بدرجة الأولى وتتغير وفق ذلك في الكثير من الآيات.
- من جمال الفواصل ملائمة الكلمات لأغراض السورة.
- السياق الاجتماعي يدرس حالة المجتمع والعادات التي كانت في القديم وتصرف القرآن منها.
- سياق الحال يعتمد على العلاقة بين المتكلم والسامع في موقف معين.
- في سياق الحال تسطع بلاغة حسن اختيار اللفظ مع الموقف المناسب بحيث لا يفهم الأول إلا بالرجوع إلى الثاني.
- السياق التاريخي خاص وعام بحيث أن الأول يتحدث عن ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم من المكية إلى المدنية وأم الثاني يحدثنا عن قصص الأنبياء والمرسلين.
- يعتبر السياق التاريخي في القرآن من المؤشرات على صدق النبوة لأنه يستحيل على نبي أمي أن يعرف أحوال السابقين بهذه الصورة المتكاملة دون الله.

مع مجمل النتائج ورغم الدراسات والبحوث التي تطرقت إلى القرآن الكريم يبقى ذلك غيض من فيض.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الكتب

1. بدر الدين بن جماعة، **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**، دار الوفاء جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، ط1، 1990م.
2. تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – مصر، (د. ط)، 1990م.
3. ابن جنى، **المنصف لكتاب التصريف**، دار الثقافة، القاهرة – مصر، ط1، 1954م.
4. أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، **أسباب النزول**، دار الاصلاح، الدمام – المملكة العربية السعودية، ط2، 1992م.
5. الخطابي، **في إعجاز القرآن**، دار المعارف، مصر، ط3، 1987م.
6. الخطيب الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001م.
7. سناء حميد البياتي، **التنغيم في القرآن الكريم دراسة صوتية**، مركز إحياء التراث العلمي العربي، العراق، (د. ط)، 2007م.
8. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، مصر، (د. ط)، (د. ت).
9. صلاح الخالدي، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، دار عمار، عمان – الأردن، ط1، 2000م.
10. عبد القاهر الجرجاني، **المفتاح في الصرف**، مؤسسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط1، 1987م.
11. علي حميد خضير، **دلالة السياق في النص القرآني**، الأكاديمية العربية في الدانمارك، (د. ط)، 2014م.
12. عماد الدين، **تفسير القرآن العظيم**، ملتقى أهل الحديث، (د. ط)، (د. ت)، ج5.

13. فاضل صالح السامرائي، **بلاغة الكلمة في التعبير القرآني**، شركة الفانك لصناعة الكتاب، القاهرة – مصر، ط2، 2006م.
14. فاضل صالح السامرائي، **من أسرار البيان القرآني**، دار الفكر ناشرون وموزعون، القاهرة – مصر، ط1، 2009م.
15. فضل حسن عباس، **قصص القرآن الكريم**، دار النفائس، الأردن، ط3، 2010م.
16. قروج نعيمة، **إيحاء الدلالة الصوتية ودورها في إبراز معاني النص القرآني**، جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، (د. ت).
17. كمال الدين عبد الغنى المرسى، **فواصل الآيات القرآنية**، المكتب الجامعي الحديث، جامعة الإسكندرية، ط1، 1999م.
18. محمد حسن الصغير، **الصوت اللغوي في القرآن**، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان، ط1، 2000م.
19. محمد على الخولي، **معجم علم اللغة النظري**، مكتبة لبنان، بيروت – لبنان، ط1، 1982م.
20. محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط 4، 1981م، مج 3.
21. محمد محمد داود، **من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**، جامعة كاليفورنيا، أمريكا، 2010م.
22. محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، (د. ط)، (د. ت).
23. محمود بن حمزة، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، دار الكتب العلمية ببيروت لبنان، ط1، 1976م.

24. مصطفى عواطف كلوش، **الدلالة السياقية عند اللغويين**، دار السياب، جامعة إنديا، ط1، 2007م.

25. نصر حامد أبو زيد، **الخطاب والتأويل**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط 3، 2008م.

ثانيا: المذكرات والأطروحات

26. أسامة شكري الجميل العدوي، **الإيقاع القرآني أثره الفني واعجازه البلاغي**، دكتوراه البلاغة والنقد، 2013م.

27. أكرم علي معلا، **أُثر السياق في بلاغة التركيب البياني في القرآن الكريم**، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة البعث، سوريا، 2015م.

28. ذيب نور الهدى، **السياق ودلالته في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي – الجزائر، 2020م.

29. عبد الله محمد ياسين الشمايلة، **الإيقاع في القرآن الكريم السور المكية**، رسالة درجة الماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1999م.

30. كاملي بشير، **الصوت والدلالة في القرآن الكريم**، مذكرة الماجستير، جامعة العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران – الجزائر، 2013م.

31. محمد الصغير ميسة، **جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم**، رسالة درجة الماجستير، علوم اللسان العربي، جامعة بسكرة، 2012م.

32. مرشد أحمد سعيد محمود، **الحذف والتقدير في القرآن الكريم**، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، الجامعة بهاول بور، 1990م.

ثالثا: المجلات والملتقيات

33. إسماعيل مغمولي، **الدلالة السياقية للنص القرآني**، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة باجي مختار، عنابة – الجزائر، العدد 1، 2022م.
34. حبيبة زغلامي، **السياق الاجتماعي وأهميته في فهم النص القرآني وتوجيه دلالته**، مجلة الموروث، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، العدد 2، ديسمبر 2021م.
35. خليل خلف بشير العامري، **السياق وأنماطه وتطبيقاته في التعبير**، مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية، المجلد 9، العدد 2، 2010م.
36. عبد القادر بن زيان، **فاعلية السياق في توجيه الدلالة – دراسة في المستويات اللسانية في الخطاب القرآن**– ، مجلة أنثروبولوجية الأديان، جامعة زيان عاشور، الجلفة – الجزائر، العدد 1، 2022.
37. فرهاد عزيز محيي الدين، **التنغيم وأثره في التعبير عن المعاني النفسية**، مجلة جامعة كروك للدراسات الإنسانية، المجلد 10، العدد 10، 2015م.
38. محمود عبد الستار وسرمد فؤاد شفيق، **الإصلاح الاجتماعي في القرآن الكريم**، مجلة مداد الأدب، الجامعة العرقية، كلية الأدب، عدد خاص بالمؤتمرات، 2019م.
39. المهدي إبراهيم الغويل، **جماليات البنية الإيقاعية في القرآن الكريم – دراسة في الجزء الأخير من سورة مريم** –، الجامعة الأسمرية، العدد 21، (د. ت).
40. نصر سعيد عبد المقصود حسن، **النبر وأثره في القرآن الكريم**، قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها، العدد 11، (د. ت).
41. نعيمة بكوش، **الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم**، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، العدد 12، ديسمبر 2017م.

رابعا: مواقع الأنترنت

42. محمد صبري عبد الرحيم، **الحكمة من حذف ياء النداء في كل مواطن الدعاء في القرآن الكريم**، الأربعاء 28 أكتوبر 2015 على الساعة: 10:38 م، على الموقع: https://www.elbald.news.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
البسملة.	
شكر وعرفان.	
الإهداء.	
مقدمة.	**أ – ج**
الفصل الأول: أنماط السياق الداخلي ودوره في تحديد المعنى في القرآن الكريم	**04**
تمهيد.	**05**
أولا: السياق النحوي.	**06**
1. العلامة الإعرابية.	06
2. التقديم والتأخير.	08
3. الحذف والتكرار.	11
ثانيا: السياق الصرفي	**14**
1. اختلاف صيغة الكلمة.	15
2. الجمع والإفراد.	17
3. الإبدال.	18
ثالثا: السياق الصوتي	**21**
1. دلالة الصدى الحالم.	21
2. دلالة الصوت بين الخفة والثقل.	24
3. دلالة التكرار الصوتي.	28
رابعا: السياق الإيقاعي والفاصلة القرآنية	**32**
1. النبر والتنغيم.	32
2. الفاصلة القرآنية.	40

3. تناسب الفواصل.	43
4. تكرار الفواصل في بعض الصور.	43
خلاصة الفصل.	**45**
الفصل الثاني: أنماط السياق الخارجي ودوره في تحديد المعنى في القرآن الكريم	**46**
تمهيد.	**47**
أولا: السياق الاجتماعي.	**48**
1. دلالة السياق في مشهد قتل الأبناء.	48
2. دلالة السياق في مشهد الوصية.	50
3. دلالة السياق في مشهد الألفة والتعارف.	52
4. دلالة السياق في مشهد المؤاخاة والتعاون.	53
ثانيا: سياق الحال.	**56**
1. نماذج قرآنية في سياق الحال.	57
ثالثا: السياق التاريخي.	**63**
1. السياق التاريخي الخاص.	64
2. السياق التاريخي العام.	71
خلاصة الفصل.	**79**
خاتمة.	**82 – 81**
قائمة المصادر والمراجع.	**88 – 84**
فهرس المحتويات.	**91 – 90**

ملخص:

يتناول هذا البحث قضية فاعلية السياق في تحديد المعنى في نماذج من النظم القرآني وقد قسمنا الموضوع إلى فصلين؛ تناولنا في الأول مفهوم السياق الداخلي أو ما يسمى بالسياق اللغوي وذكرنا أقسامه وهي السياق النحوي والسياق الصوتي والسياق الصرفي والسياق الإيقاعي وأما الثاني تناولنا فيه السياق الخارجي أو ما يسمى السياق الغير اللغوي والذي ذكرنا فيه السياق الاجتماعي وسياق الحال والسياق التاريخي وهذا من أجل الوصول إلى الشعور بدلالة وبلاغة النظم القرآني وفق سياق معين سواء منفرد بذاته أو داخل مجموعة من السياقات التي تخدم بعضها بعضا.

الكلمات المفتاحية: النظم القرآني، السياق النحوي، السياق الصوتي، السياق الصرفي، السياق الإيقاعي، السياق الخارجي، السياق الاجتماعي.

Abstract:

This research deals with the issue of the effectiveness of context in defining meaning in models of Quranic systems. We have divided the subject into two chapters. In the first, we dealt with the concept of the internal context, or what is called the linguistic context, and we mentioned its sections, which are the grammatical context, the phonetic context, the morphological context, and the rhythmic context. As for the second, we dealt with the external context, or what is called the non-linguistic context, in which we mentioned the social context, the case context, and the historical context, and this is in order to reach the feeling of significance And the eloquence of the Qur'anic systems according to a specific context, whether individually or within a group of contexts that serve each other.

Keywords: Quranic systems, grammatical context, phonetic context, morphological context, rhythmic context, external context, social context.